المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2177) - السنة (54) 9شعبان 1444هـ / 1 مارس 2023م

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

زلزال القرن

التحديات والمآلات

الكويت 750 فلساً . السعودية 10 ريالات . البحرين دينار بحريني . قطر 10 ريالات . سلطنة عمان ريال عماني . الأردن 1.750 دينار أردني . لبنان 4500 ليرة . المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

لمتابعتنا على

مواقع التواصل الاجتماعي

@mugtama

mugtama magazin

@mugtama

info@mugtama.com

@mugtama

mujtamaa@gmail.com

اشترك أو جدد

داخل الكويت
10 د.ك

الدول العربية
17 د.ك

الدول الأجنبية
25 د.ك

المؤسسات والشركات
30 د.ك

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك: .....

العنوان: .....

صندوق البريد: ..... الرمز البريدي: .....

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560523

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN0000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2177) - (السنة 54)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:

سالم حمد القحطاني

مدير التحرير:

جمال الشرقاوي

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة.

الرمز البريدي (13049)

التحرير

22519539 - 22514180

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560523 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

زلزال القرن.. التحديات والمآلات

- «الكويت بجانبكم».. يد ممدودة لإغاثة المنكوبين جراء زلزال تركيا وسورية 6
- الكوارث الطبيعية.. عقوبة أم ابتلاء؟ 12
- الزلازل.. قراءة شرعية وعظة حياتية 15
- الانعكاسات السياسية للزلزال في تركيا 24
- دور الفن في تهذيب المجتمع وعلاج ما بعد الصدمات 42
- توافق الفلسطينيين على برنامج مشترك.. أمرُ الساعة 46

مقالات

وطني.. ما أروعك! — د. يوسف السند — 11

نعمة بلوغ رمضان — إيمان مغازي الشرقاوي — 54

الإسلام ينتشر في زمن العلمنة والإرهاب — د. أحمد عيسى — 66

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

دعوة مشبوهة زمن الزلازل والمحن

في وقت الزلازل والشدائد والمحن التي تواجه الأمة، بدلاً من أن يلجأ الناس إلى ربهم ليرفع عنهم البلاء، وينجيهم من الكوارث والأهوال؛ ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾(الأنعام: ٤٣)، تظهر دعوة مشبوهة لتوحيد أتباع الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام تحت بيت واحد وعقيدة أو ديانة واحدة تسمى «الدين الإبراهيمي الجديد»، وهي دعوة باطلة شرعاً، وردة صريحة عن دين الإسلام.

فقد أنعم الله عز وجل على أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم؛ فجعلها خير الأمم، وأرسل لها نبيها فجعله خاتم الأنبياء وسيد المرسلين؛ فما زالت بعض الأمم الأخرى تحقد عليها حقداً كبيراً، جعلها تتآمر عليها ليل نهار، محاولين إثناءهم عن طريق الخيرية الذي رسمه لهم ربهم، كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة: ١٠٩)؛ فاستعملوا في سبيل ذلك كل السبل والوسائل، وآخرها تلكم الدعوة المشؤومة التي تطل برأسها كل حين لتدعو إلى توحيد الأديان، مستغلة بعض الشعارات البراقة والجمل الخداعة التي تدغدغ المشاعر حتى بدأت تنطلي على بعض بني جلدتنا من المسلمين؛ فانساقوا حول نيرانها حتى وقعوا فيها كالجراد الذي يحترق تباعاً.

ولا شك أن هذه الدعوة الخبيثة لتتنافى تماماً مع أصول الاعتقاد في الشريعة الإسلامية التي تقوم ركائزها على أن الإسلام دين الأنبياء كلهم، كما أخبر القرآن الكريم، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن القرآن الكريم هو خاتم الكتب والمهيمن عليها، وأن الإسلام ناسخ لما قبله من الرسالات والملل والشرائع، وأنه وجب على كل من شهد الإسلام أن يؤمن به، وإلا فهو كافر بما أنزل الله تعالى حتى لو كان يتبع ديناً آخر؛ فمما نعتقده أيضاً أن التوراة والإنجيل قد تم تحريفهما؛ ولذا فإن التمسك بهما باطل، وأي محاولة لمساواة الإسلام بغيره من الشرائع فهي باطلة.

ومن العجيب أن أرباب هذه الفتنة يلبسون الحق بالباطل؛ فيستغلون اسم نبي الله إبراهيم فينسبون إليه هذه الديانات الثلاث، متغافلين عن أن الله تعالى قد أبطل ما جاؤوا به من الإفك؛ حيث قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة: ١٣٥)؛ فجعل ملة إبراهيم في مقابل اليهودية والنصرانية؛ وهو ما يفيد المغايرة بين الطريقين طريق اليهود والنصارى وطريق نبي الله إبراهيم الذي قال عنه الله تعالى بصورة واضحة جلية: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران: ٦٧).

وأمام هذه الفتن التي تجد من يوقظها كل حين، يسخر الله تعالى من يرد عن دينه تحريف الغالين وانتحال المبطلين؛ حيث تصدت لمثل هذه الفتنة قبل ذلك اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالأمانة العامة التابعة لهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية؛ حيث أصدرت فتوى عام ١٤١٨هـ برئاسة الشيخ ابن باز يرحمه الله تعالى أكدت فيها أن الدعوة إلى «وحدة الأديان» والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد، دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجر أهله إلى ردة شاملة.

وأكدت أن الدعوة إلى «وحدة الأديان» إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله عز وجل، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسُنة وإجماع.

وكذلك فتوى الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، التي جاء فيها: «.. هي فكرة باطلة؛ إذ الإسلام إنما يقوم على التوحيد والوحدانية، وإفراد الله تعالى بالعبادة، بينما الشرائع المحرفة قد دخلها الشرك، وخالطتها الوثنية، والتوحيد والشرك ضدان لا يجتمعان.. وهي: خروج من ملّة الإسلام الخاتم الناسخ لكل شريعة سبقته، ولن يفلح قوم دخلوا في هذا الكفر الصُراح»!

وإننا في مجلة «المجتمع» لنعيد التذكير بهذه الأصول وننادي بما نادت به هيئات علماء المسلمين من ضرورة التصدي لهذه الفتنة التي بدأت تطل برأسها مرة أخرى، وهي تتزيّا بأزياء الإفك السياسي والبهتان التطبيعي مع العدو الصهيوني، ولكن ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢).■

آيــة العـــدد

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

(آل عمـــران)

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السـعودية:الشركة السـعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطـر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحـرين :
مؤسسـة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعـلانات :
امتياز الإعـلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

جسر جوي بين الكويت وتركيا بأوامر أميرية

«الكويت بجانبكم».. يد ممدودة لإغاثة المنكوبين جراء زلزال تركيا وسورية

كتب – سامح أبوالحسن:

لا يخفى على أحد دور دولة الكويت الإنساني وحب العطاء والعمل الخيري؛ حكومة وشعباً، وقد تجلى هذا الأمر في كثير من الأزمات والكوارث التي حلت ببعض الدول، ومنها مؤخراً كارثة الزلزال التي أصابت كلاً من تركيا وسورية؛ فعقب وقوع الزلزال أصدر حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه، توجيهات سامية بإنشاء جسر جوي لإرسال مساعدات وطواقم طبية عاجلة باسم دولة الكويت إلى تركيا، بمشاركة كل من وزارة الخارجية وقوة الإطفاء العام والهلال الأحمر ووزارة الصحة والجيش الكويتي.

كما أعلن مجلس الوزراء عن تبرع دولة الكويت بمبلغ ٣٠ مليون دولار أمريكي لدعم الجهود الإغاثية ولتخفيف المعاناة الإنسانية عن المتضررين في البلدين بواقع ١٥ ألف دولار لكل دولة.

«الوزراء» قدَّم ٣٠ مليون دولار.. و«الكويت بجانبكم» جمعت ٧٠ مليون دولار خلال ١٢ ساعة

ولاقى هذا الموقف الإنساني النبيل إشادة من السفيرة التركية لدى الكويت «طوبى نور سونمز»؛ حيث ثمَّنت كرم الشعب الكويتي ومحبته لشقيقه التركي، حيث قالت: إن الشعب والحكومة الكويتيين أعربا عن وقوفهما بجانب تركيا منذ اللحظات الأولى للزلزال، حيث قدما الدعم مادياً ومعنوياً من خلال الدعاء والتصريحات والرسائل، وشعرنا بذلك عن كثب في السفارة التركية بالكويت، وكمثال على ذلك تم إطلاق حملة بعنوان «الكويت بجانبكم»، حيث تم جمع ٧٠ مليون دولار خلال ١٢ ساعة فقط، مشيرة إلى أن السفارة تولت مهمة تنسيق إيصال المساعدات العينية.

وأطلقت وزارة الشؤون الاجتماعية حملة بالتعاون مع وزارتي الخارجية والإعلام والجمعيات الخيرية لإغاثة المتضررين من زلزال تركيا وسورية، تحت عنوان «الكويت بجانبكم»؛ حيث جمعت تبرعات بقيمة ٢٠.٧ مليون دينار كويتي (٦٧.٧ مليون دولار)؛ التي شارك فيها نحو ١٢٩ ألف متبرع.

توجيهات سامية

وجاءت الحملة، التي تم تنفيذها عبر البث المباشر لتلفزيون الدولة الرسمي، بتوجيهات سامية من القيادة السياسية، وبتكليف من مجلس الوزراء في إطار الدور الإنساني لدولة الكويت لمساعدة وإغاثة المتضررين من هذه الكارثة التي خلفت آلاف الضحايا والمصابين.

وعلى صعيد الجمعيات الخيرية، أطلقت «نماء الخيرية» بجمعية الإصلاح الاجتماعي حملتها لإغاثة المتضررين من الزلزال، حيث تخطت تبرعاتها حاجز ٤٠٠ ألف دينار كويتي، وقام فريق «نماء الخيرية» بتوزيع الوجبات الساخنة والمواد الغذائية على المتضررين في تركيا، بينما قام فريقها في الداخل السوري بتوزيع الخيام، وعملت مخابزها في الداخل على توفير الخبز للمتضررين بمعدل ٣٥٠٠ ربطة خبز يومياً، بالإضافة إلى عياداتها المتنقلة

جمعيـة الإصلاح الاجتماعـي
في الميدان لإغاثة متضرري الزلزال

التي تستقبل المصابين على مدار الساعة.

ومن «نماء الخيرية» إلى «جمعية الرحمة العالمية» التي تواصل توزيع المساعدات الإغاثية للمتضررين من الزلزال في الداخل السوري، الذي يعد الأولوية الإغاثية للرحمة العالمية في تدخلها الإنساني للتعامل مع الأزمة؛ حيث بدأت في المرحلة الأولى من حملتها الإغاثية بتوزيع المواد الغذائية على الأسر المشردة والمنكوبة في عدة مناطق بالداخل السوري، في ظل بقائهم وأطفالهم لعدة أيام دون طعام أو زاد، ثم المرحلة الثانية من الإغاثات العاجلة بتقديم المأوى والدواء، بالإضافة إلى مختلف المساعدات الخاصة بتدارك تداعيات الكارثة.

كما خصصت «الهيئة الخيرية الإسلامية» أكثر من ٨٦٠ ألف دولار أمريكي، لمواجهة تداعيات الزلزال في تركيا وسورية، ووجهت هذه الاعتمادات لمجموعة من المسارات الإنسانية المتمثلة في توفير الاحتياجات الغذائية من وجبات ساخنة ومعلبة وسلال غذائية وطرود مياه الشرب، وتدبير الأدوية والمستلزمات الطبية ودعم المراكز الطبية خاصة في سورية، بالإضافة إلى برامج توفير المأوى من الخيام والفرش، وتزويد الضحايا بالمدافئ ومواد التدفئة والملابس الشتوية والبطانيات وغيرها، هذا إلى جانب دعم آليات الدفاع المدني بالوقود.

فيما جهزت «الجمعية الخيرية الكويتية» (حفاظ) ١٥ شاحنة مساعدات محملة بالمواد الغذائية والملابس والبطانيات والخيام استعداداً لتقديم الإغاثة العاجلة لمتضرري الزلزال بالتعاون مع فريق «التآخي».

وأعلنت «جمعية الحياة الخيرية» عن تجهيز خيم إيواء، وتوزيع مساعدات بشكل عاجل لإغاثة المتضررين من زلزال تركيا والشمال السوري، استفاد منها أكثر من ٩ آلاف مستفيد.

فيما قال الرئيس التنفيذي في نماء الخيرية سعد العتيبي: بعد وصولي إلى جنوب تركيا، رأيت كثيرين وقد تبدّلت حالهم بين ليلة وضحاها؛ من آمنين مستقرين إلى مشردين هائمين على وجوههم بلا اتجاه أو بوصلة، باقين بين الحطام ينتظرون أجساد أحبابهم ليواروها التراب.

وأضاف العتيبي: من أصعب المشاهد التي رأيتها في أنطاكيا التي تضررت بنسبة ٩٠% من الزلزال المدمر، هي حالات انتظار الأهالي أمام المباني المهدّمة، وهم يتفرسون في أوجه أعضاء فرق الإنقاذ علها تشير إلى أنهم سمعوا صوتاً آتياً من تحت الأنقاض، ومنهم من فقد الأمل وتمنى فقط أن يتسلم جسد مفقوده ليكرمه بدفنه.■

البخور الحديث
MODERN
BAKHOOR

كيفية الاستعمال
HOW TO USE

يستخدم بدون فحم

أشعل طرف عود البخور غير المسطح (النهاية الخشنة) حتى ترى الشعلة الحمراء للسطح كله (قد يستغرق ذلك دقيقة واحدة).

Light the Oud Bakhoor non-flat end (rough end) until see the red flame of whole surface (may take 1 minute).

الشايع
منذ SINCE 1928
الشـــايـــع للعطـــور
AL SHAYA PERFUMES

www.alshayaperfumes.com
@alshayaperfumes

اختصاصيون نفسيون لـ«المجتمع»:

الدعم النفسي لمتضرري الكوارث لا يقل أهمية عن الدعم الإغاثي

يحتاج الناجون من كارثة الزلازل إلى مساعدات نفسية، بصورة لا تقل أهمية عن المعونات المادية والإنسانية والطبية، وذلك من أجل تخفيف المعاناة النفسية المتمثلة في مشكلات الاكتئاب المصاحبة لتلك الكوارث.

هذا ما أكده علماء واختصاصيون في علم النفس لـ«المجتمع» من خلال هذا التحقيق الذي سعى للتعرف على وسائل الإسعاف لمن تعرضوا لمثل هذه الكوارث.

تحقيق – سامح أبوالحسن:

في البداية، قالت مديرة مركز «اتزان» للاستشارات والتدريب الاختصاصية النفسية **د. حنان القطان**، في حوار مع «المجتمع»: إن الآثار النفسية للزلازل تكون بمثابة الصدمة أو اضطرابات الصدمات أو كرب ما بعد الصدمة، فالذي يتعرض لأي حدث يهدد حياته يتعرض لصدمة نفسية، وتختلف هذه الصدمة من إنسان إلى آخر، وتتفاوت القدرة على المعايشة مع هذه الكارثة، وأبرز هذه الآثار تتمثل في الأرق واضطرابات النوم الذي يعد من أهم الأعمال التي تعيد للعقل توازنه وتصحح الكثير من المشكلات في الجسد، بالإضافة إلى الصور الذهنية التي تأتي للإنسان مع الصوت والتخيل؛ مؤدية إلى السرحان، وينفصل الإنسان فيها عن الواقع.

وتابعت: من كرب ما بعد الصدمات الدخول في حالة من الاكتئاب حينما يكون الإنسان أسيراً لأحزانه لفترة طويلة ولا يستطيع أن يتجاوز آثار فقْد أسرته أو أحد أفرادها، فقد يدخل في حالة من الاكتئاب، ويشعر بالضيق والتوتر والقلق، وأن مستقبله قد انتهى، ويشعر بتأنيب الضمير، وغيرها من الآثار المؤلمة بعد الكوارث.

وأضافت د. القطان: هنا يبرز محوران يؤثران بشكل مباشر في حجم الآثار السلبية لكرب ما بعد الصدمة؛ الأول: الاستعداد الوراثي والنفسي لما بعد الاضطرابات النفسية والمشكلات، مثل الاكتئاب والوسواس وغيرهما، والثاني: تكوين الشخصية، وكيف تربى هذا الإنسان؟ وهل لديه درجة عالية من اليقين والتسليم بقدر الله تعالى، أم لديه فقر في المعاني الإيمانية؛ وبالتالي يكون عاجزاً عن التسليم بقضاء الله وقدره، وهنا يجد صعوبة في التكيف؟ وهذا ما نسميه التكوين الشخصي، وذلك يساهم في تفسير الموقف بين إنسان وآخر، ومثلما قال العلماء: الصدمة لا تولِّد المشكلة، وإنما تفسيرك الداخلي هو الذي يولِّد المشكلة.

واستطردت الاختصاصية النفسية: من الآثار أيضاً عدم الإدراك المتزن لما حدث؛ مما يولد بعض المشكلات في السلوك، مثل الرعونة وعدم توخي الحذر وعدم المبالاة بوسائل الأمن والسلامة والاستخفاف العقلي مع المشكلة والأزمة، وهذا يعتبر من الآثار التي من الممكن أن يحدثها تفسير المصاب لمشكلته وصدمات حياته، وأيضاً قد يحدث اضطراب القلق وليس القلق التفاعلي بسبب أزمة، وإنما هو القلق المزمن، وله آثار سلبية مثل القولون العصبي والصداع والضيق والوهن.

الغانم: نحتاج معالجين نفسيين وتربويين يمهدون لبيئات إيجابية ليستطيع الأطفال التأقلم معها

الصدمة ومراحلها

أما بالنسبة للصدمة نفسها، فهي تحتاج إلى تعريف، وهي -حسب القطان- عبارة عن كمية من المشاعر الضارة التي تهدد الحياة بحيث لا يستطيع الجسد أن يتحملها في وقت سريع، وتُحدث تغييراً في أسلوب الحياة، وقد تصل بالإنسان إلى العجز وعدم القدرة على العمل؛ فقد تسبب الخوف الشديد أو الخوف المرضي من خلال تحفيز الجهاز العصبي للجسد؛ وبالتالي يكون لديه إفراز للأدرينالين بشكل غير واعٍ، وهذا ظهر جلياً في ارتدادات ما بعد الزلزال؛ فنرى فزع الناس في الضربة الأولى، وهنا نجد سرعة الاستجابة للمثير أسرع بكثير مما قبل؛ مما يدل على أن هناك إفرازاً بشكل كبير للأدرينالين، وهذا دليل على أن الجسد متنبه ولديه رد فعل طبيعي؛ والله تعالى جعل الأجساد دائماً في حالة دفاع، لكن هذه الحالة إذا عاشها الإنسان فترة طويلة فمن الممكن أن تؤثر على حالته النفسية، فهو يحتاج إلى الهدوء والتنفس بعمق، وذكر الله والتوكل عليه.

وعن مراحل الصدمات التي يعيشها الإنسان، قالت د. القطان: المرحلة الأولى هي الإنكار؛ فيرفض الإنسان هذا الحدث، أو لا يستطيع تقبله، ثم بعد ذلك ينتقل إلى مرحلة الغضب والاحتجاج؛ وهذه المرحلة صحية؛ لأنها تنقل الإنسان من الإنكار غير المنطقي إلى القبول، أما الثالثة فهي مرحلة المساومة؛ وهي المطالبة بإنقاذ بعض الأفراد، وتأتي المرحلة الرابعة وهي الاكتئاب، وآخر مرحلة وهي القبول؛ وفيها يتم تقبّل الحدث.

وهذه المراحل تختلف على حسب صحة الإنسان النفسية، فهناك من يمتلك الصحة النفسية العالية فيصل إلى مرحلة القبول بشكل أسرع، كما حدث مع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موت النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال: «من قال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد مات قطعت رأسه»، وعندما ذكّره أبو بكر رضي الله عنه بالآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، قال: «وكأني أسمعها لأول مرة»، وهذا دليل على أنه انتقل إلى القبول والإدراك بسرعة ولم يأخذ دقائق، فسرعة الاستجابة والوصول إلى القبول تختلف من إنسان إلى آخر.

وأضافت د. القطان: هناك أفكار ووسائل للدعم النفسي؛ أولها: تهدئة الجهاز العصبي

د. القطان: التهدئة بالساعات الأولى هي التي تنقذ الإنسان حيث تكبح إفرازات الأدرينالين اللاواعية

للمتضررين، وهذه اللحظات الأولى والساعة الذهبية حيث لا تترك المصاب بالهلع تمر عليه ساعات طويلة ثم بعد ذلك تذهب لتهدئته، فالتهدئة الأولى هي التي تنقذ الإنسان، وهي التي تكبح جماح إفرازات الأدرينالين وغيرها اللاواعية، بتذكيرهم بالصبر والهدوء وعناقهم وخاصة الأطفال؛ لأنهم سرعان ما ينتقلون من الخوف إلى الأمان، ويتم تغذيتهم وإعطاؤهم الماء والطعام.

وبينت أن هناك حالات تحتاج إلى دعم نفسي من نوع مختلف، ووضع خطط علاجية لهذه الحالات، حتى الذي يمارس الدعم النفسي يحتاج إلى تفريغ وتثبيت لقلبه حتى لا يصل لمرحلة الانهيار، ولكي يشحن نفسه مرة أخرى بالعطاء من جديد، وفي المرحلة الأولى يجب أن يكون الدعم عبارة عن إسعاف أوليّ للمصاب نفسياً، ثم بعد ذلك بعد أن تهدأ الأمور يكون هناك إسعاف من نوع آخر؛ وهو إسعاف بطيء، ويتمثل في وضع خطة إستراتيجية لعلاج الكوابيس والقلق والإجهاد وعدم التنفيس بأساليب خاطئة؛ مثل التكسير أو الضرب أو الانغماس في حالة من اليأس والاكتئاب، فيحتاج المتضرر إلى مرحلة الإسعاف الأوليّ، والمرحلة الثانية قد تكون رحلة علاج وفق خطة، كما أن درجة الصدمة تختلف من طفل إلى آخر على حسب طبيعته، فهناك أطفال دخلوا في حالة من الهلع، وهناك من هو مستقر نفسياً، وهناك من يتحدث في السيارة، وآخر يضحك ويلعب ولم يدرك لصغر سنه.

الفئات الأكثر ضعفاً

فيما قال أستاذ علم النفس في جامعة الكويت **د. سعود الغانم**: إن الآثار النفسية للمصابين في الزلازل وخاصة الأطفال يرجع تأثيرها إلى أن الأطفال يسمون الفئات الأكثر ضعفاً في المجتمع، ومنها النساء وأصحاب الهمم، مشيراً إلى أن الأطفال عادة يصابون بما يسمى باضطراب ما بعد الصدمة.

وأوضح الغانم، في تصريح لـ«المجتمع»، أنه من الصعب الوقوف على مدى الإصابة باضطراب ما بعد الصدمة إلا بعد مرور شهر كامل من الحادث، وذلك من خلال رصد أعراض مثل الخوف، وكبت المشاعر، وعدم القدرة على التعبير، والكوابيس، وتجنب الأشخاص والأماكن المرتبطة بالحدث، واضطرابات في رد الفعل.

ذكريات سلبية

وبيَّن الغانم أن الطفل قد تحدث له ذكريات سلبية، خاصة أن الأمور التي كان يفعلها سابقاً يبدأ التخوف من فعلها؛ فيبدأ لديه ارتفاع الخوف من الأحداث العادية التي كان يمارسها بدون مشكلات، فلذلك نقول: إننا نحتاج اهتماماً كبيراً وفرقاً متخصصة للعناية بالأطفال بعد هذه الأزمات الكبيرة؛ لأن منهم من مصيبته عظيمة، ومنها فقْد الأعزاء، فهذا سيضاعف المشكلة، فالمرحلة الأصعب هي الفقدان.

وأوضح الغانم أن الآثار قد تصيب الأطفال بارتفاع انفعال الخوف وعدم التوافق والقلق والرهبة، وأيضاً يحدث اضطراب في النوم مخافة من تكرار الحدث، والأمر الأخير هو فقدان الممتلكات المادية، فآخر مرحلة من مراحل الإصابات هي فقدان ما يتعلقون به من أمور مادية سواء أكان المنزل أم السرير الخاص أم ما يتعلق به الطفل على حسب عمره.

واختتم الغانم: دخول الأطفال إلى بيئة جديدة قد يؤثر عليهم نفسياً، وهي أماكن لم يتعودوا عليها؛ مثل المخيمات المؤقتة وغيرها، وهذا قد يؤدي بالطفل إلى عدم التوافق، في النهاية نحتاج إلى متخصصين في العلاج النفسي وتربويين يمهدون لبيئات إيجابية حتى يستطيع الأطفال التأقلم معها.

علامات الصدمة

أما أستاذ علم النفس في جامعة الكويت **د. خضر البارون** فقال: إن الكوابيس واسترجاع الذكريات والقلق الشديد تعد من أكثر علامات الصدمة شيوعاً لدى المتأثرين من الزلازل، فيما تعد أعراض البكاء والارتعاش أو الهدوء المخيف بمثابة مؤشرات خطر في عيون مقدمي المساعدات النفسية.

وأضاف البارون، في تصريح لـ«المجتمع»: تتعدد المخلفات النفسية التي قد تصيب الناجين من الزلازل، وتختلف من حالة إلى أخرى، حسب شدتها وطبيعة أعراضها، مشيراً إلى أنه ليس كل من يتعرض لزلزال سيصاب بمشكلة صحية أو نفسية، وأولئك الذين يتعرضون لها قد يعانون من أعراض مختلفة، ويعد طلب المساعدة المتخصصة من اختصاصي أو طبيب نفسي أمراً مهماً إذا استمرت الأعراض وتداخلت مع الأداء اليومي.

البارون: البكاء والارتعاش أو الهدوء المخيف مؤشرات خطر في عيون مقدمي المساعدات النفسية

وأشار البارون إلى أن الناجين من الكارثة قد يصابون بحالات الاكتئاب التي تعد إحدى المشكلات النفسية الشائعة بعد حدث مؤلم مثل الزلزال، وتتمثل أعراضه في الشعور المستمر بالحزن واليأس وفقدان الاهتمام بالأنشطة وتغيرات في الشهية وأنماط النوم.

وأردف البارون: من بين أبرز الاضطرابات أيضاً اضطراب نفسي يمكن أن يتطور بعد تعرض الشخص لحدث صادم، ويمكن أن تشمل تجنب التذكير بالحدث، والشعور بالخدر أو الانفصال عن الآخرين، والشعور بالقلق الشديد.

وأكد البارون أن الناجين بعد ظهور هذه الأعراض يحتاجون إلى الرعاية الصحية اللازمة، بداية بالإسعافات الأولية النفسية ومساعدة الأفراد على الشعور بالأمان من خلال خلق بيئة هادئة وداعمة، مؤكداً ضرورة التشجيع على المواجهة الإيجابية والمرونة في التعامل مع الصدمات.■

الأمم المتحدة: 7 ملايين طفل تأثروا بالزلزال في تركيا وسورية

أعلنت الأمم المتحدة (الثلاثاء ١٤ فبراير ٢٠٢٣م)، أن عدد الأطفال في سورية وتركيا الذين تأثروا بفعل الزلزال بلغ ٧ ملايين شخص.

وقال المتحدث باسم منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف) «جيمس إلدر» للصحفيين في جنيف: في تركيا، كان مجموع الأطفال الذين يعيشون في المحافظات العشر التي ضربتها الزلازل ٤.٦ ملايين طفل، وفي سورية تأثَّر ٢.٥ مليون طفل.

ووسط الأنقاض، يواجه مئات آلاف المشرّدين الجوع والبرد في تركيا وسورية، حيث تحاول السلطات تخفيف آثار الكارثة الإنسانية بعد أكثر من أسبوع على الزلزال المدمّر الذي تتجاوز حصيلة ضحاياه ٣٥ ألف قتيل، فيما أصبحت فرص العثور على ناجين شبه معدومة والأولوية الآن هي لمساعدة مئات آلاف الأشخاص الذين دُمّرت منازلهم جراء الهزّة.

وبحسب الحكومة التركية، فقد تمّ إيواء نحو ١.٢ مليون شخص في مساكن للطلاب، ونُصبت أكثر من ٢٠٣ آلاف خيمة وأُجلي ٤٠٠ ألف شخص من المناطق المنكوبة.

ويُضاف إلى الحرمان المادي الحاد، الإرهاق النفسي الذي يشعر به الأطفال خصوصاً.

وقال نائب الرئيس التركي «فؤاد أوقطاي»: إن ٥٧٤ طفلاً أُخرجوا من مبانٍ منهارة، وجدوا أنفسهم بدون أهل.■

ربانيون مع الأجيال

وطني.. ما أروعك!

د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

وطني صغير حجمه عظيم عطاؤه.

يتواصل مع العالم فجرَ تاريخه رُغم المخاطر والصعوبات والأهوال والحروب وتعدد الأزمات.

يبحث عن رزقه تارة في الصحراء والقفار اللاهبة، وأخرى عبر البحار والأمواج العاتية المتلاطمة.

بُنِيتْ مساجده، وتنوعت ديواناته ومجالسه، وتقاربتْ منازلُه، فتآلفَتْ قلوب الجيران فأصبحوا كالأرحام؛ آلامهم واحدة وآمالهم مشتركة، إخوة أحباب، يسعون لخدمة بعضهم، ومواساة فقيرهم، وتقوية ضعيفهم، وكفاية محتاجهم، وكفالة فقيرهم ويتيمهم، وإغاثة مكروبهم، وإسعاد وتعزية حزينهم، ومشاركة بعضهم أفراحهم وأتراحهم.

مجتمع قويٌّ مترابط، يقدّر علماءه وحكامه ويتواصل معهم لخير دينه ودنياه، تحيطه قيم العفاف والنزاهة والعفة، وتكتنفه مظاهر الصدق والستر والحشمة.

مجتمع يزخر بالتجار المحسنين الذين ينفقون سراً وعلانية، وقد جمع الدكتور الكريم عبدالمحسن الخرافي الجارالله شيئاً فريداً رائعاً من سيرة تجار الكويت في سفره المتميز الماتع النافع «التاجر الأسوة»؛ حيث أصّل لسيرة التاجر الكويتي الذي جمع بين المهنية المتميزة وقيم الصدق والورع والأمانة والصدقة.

وإذا ذُكر العمل الخيري الإنساني ذُكرتْ دولة الكويت في المقدمة والصدارة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وكلما نزلت في العالم جائحة أو نازلة أو خطْبٌ جلل هبّ الكويتيون؛ حكومة وشعباً، يواسون ويتبرعون ويتصدقون كرماً وسخاءً وجوداً بما يشرح الصدر وتَقَر به العين ويسر الخاطر ويفرح به المحتاج والمكروب والملهوف.

وفي ذكرى التحرير من الغزو الغاشم الآثم على دولة الكويت، أثبت الشعب الكويتي استعداده لبذل المهج والأرواح حفاظاً على وطنه وأرضه التي بها دينه وعرضه ومساجده، والواجب الديني والشرعي يقتضي ويُحتّم كل ذلك.

فكان منهم الشهداء والأسرى والمجاهدون والمقاومون والمرابطون والعلماء والأئمة والخطباء والإعلاميون في الكويت وخارجها، حتى رجعت الكويت لأهلها وعادت قيادتها الشرعية عزيزة مكرمة بوسام العز والفخار.

لقد نشأت دولة الكويت على العز والفخار والتواصل والحوار وطيب المعشر وحسن الجوار، علاقة متميزة بين الحاكم والمحكوم، وقيم راسخة بين جميع الشعب ومكوناته.

هذا الذي يجب أن يسمعه الأبناء والبنات من الآباء والأمهات، فيتواصى الجيل على تكملة البناء وجميل البذل والعطاء.

إن الداعية الرباني يعزز في أبنائه وأحفاده وأسرته حبّ الوطن وبذل المعروف والخير لتعمير الوطن وحفظ أمنه واستقراره، والعمل على تنميته وتطويره، وبذل الروح للحفاظ على أمنه وصيانته من العدو؛ فالوطن فيه الدين والمسجد والأرحام والمال والأهل والولد وكل نفيس غال أمرتْ الشريعة بحفظه والدفاع عنه، بل من مات دون ماله وعرضه وأهله فهو شهيد، قال رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «من قُتلَ دونَ ماله فهو شهيدٌ، ومن قُتلَ دون دمه فهو شهيدٌ، ومن قُتلَ دون حرمه فهو شهيدٌ» (رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وأحمد).

فالوطن أخذ وعطاء، وذكريات وفداء، وتضحية وسخاء..

وعلينا أن نوصي الجيل ألا ينقاد وراء أبواق الشحن الطائفي التي تصنع التقاطع والتحارب والتناحر بين مكوّنات المجتمع الواحد، بل نبحث دائماً على القواسم المشتركة؛ فنبني ونعمر ولا نخرب ولا ندمر، ونجمع ولا نفرّق، ونيسّر ولا نعسّر، ونبشّر ولا ننفّر، ونتحاور ولا نتحارب ونتشاجر، ورائدنا في ذلك كله الحكمة، ودرء المفاسد مقدّم على جلب المصالح، والضرر يُزال ويختار أهون الشرين، وصدق الله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ٢٦٩).

اللهم اجعل وطننا آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

والحمد لله رب العالمين.■

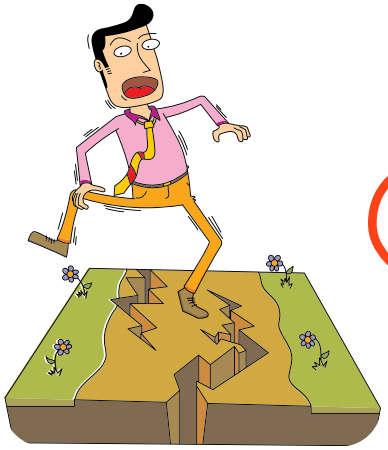

الكوارث الطبيعية.. عقوبة أم ابتلاء؟

جعفر الطلحاوي
من علماء الأزهر الشريف

يتساءل البعض عن الكوارث الطبيعية من زلازل وبراكين وفيضانات وأعاصير.. متى تكون عقوبة من اللَّه؟ ومتى تكون ابتلاء وتمحيصاً؟ وكيف نعرف أن ما حدث عقوبة أم ابتلاء؟ ونجيب عن ذلك فنقول:

الأحداث الكونية من زلازل وبراكين وفيضانات وأعاصير، في الجملة هي آيات دالة على عظيم قدرة الله تعالى، وهي من مظاهر تربية الله سبحانه لعباده، وربطهم بأسمائه وصفاته، وتعلّقهم بالله عز وجل؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً﴾ (الإسراء: ٥٩).

ومن وجه آخر، فإنها تُري الإنسانَ ضعفه، وتُلجئه إلجاء إلى ربه، لعموم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(الأنعام)، وقد ذكر هذا النص الكريم سببين لعدم تضرع الناس ولجوئهم إلى الله تعالى؛ ليكشف ما بهم من ضُر ويرفع ما بهم من بأساء:

١- قسوة في القلوب.

٢- تزيين الشيطان لهم سوء أعمالهم.

ومع خالص دعائنا أن يرفع الله تعالى البلاء عن إخواننا في الله، الذين نزل بهم من هذه الكوارث هذه الأيام، وأن يتقبل من لقي منهم ربه مؤمناً به في عداد الشهداء لحديث الصحيحين: «صَاحِبُ الْهَدَمِ شَهِيدٌ» (البخاري، ٢٦٧٤، ومسلم، ٢٩١٤)، وأن يُداوي جرحاهم، وأن يشفيهم ويعافيهم، ويتولى بعنايته ورعايته من فقدوا عائلهم.

كيف نفرق بين العقوبة والابتلاء؟

هناك ٨ فروق بين الابتلاء والعقوبة من الله للإنسان، وبيانها على النحو التالي:

الأول: من حيث زمن الوقوع:

فإن الابتلاء يكون في الدنيا التي هي دار الابتلاء، وأما العقاب فإنه يكون في الدار الدنيا وفي الدار الوسطى (البرزخ أو القبور) وفي الآخرة.

ومن الآيات الشاهدة على ذلك، قوله تعالى عن جزاء من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر بالبعض الآخر: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(البقرة: ٨٥)، وقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ (القصص).

وعن وقوع العقاب في الدار الوسطى (القبور)، قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٦).

الثاني: من حيث السبب والباعث:

فإن الابتلاء يكون لاختبار حال الإنسان، أما العقاب فلا يكون إلا جزاء على الذنب.

فالبلاء يكون اختباراً لحال الإنسان؛ لقوله سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢)، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الكهف: ٧).

أما العقاب فلا يكون إلا جزاءً على الذنب فعَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ يُصِيبُ عَبْدًا نَكْبَةٌ فَمَا فَوْقَهَا أَوْ دُونَهَا إِلاَّ بِذَنْبٍ، وَمَا يَعْفُو اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرُ، وَقَرَأَ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠)» (حكم الألباني: حديث حسن، صحيح الجامع، ٧٧٣٢) وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا اخْتَلَجَ عِرْقٌ وَلَا عَيْنٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَمَا يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرُ» (صحيح الجامع، ٥٥٢١).

ومن صور العقاب على الذنوب: زوال

النعم، ونزول العذاب والدمار، فالمعاصي تزيل النعم، وذلك يكون عقاباً، ومن الأمثلة على ذلك في القرآن الكريم:

- صاحب الجنة المغرور في سورة «الكهف» كان جزاء غروره ما قصَّه علينا القرآن: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ (الكهف).

- مثل القرية الآمنة المستقرة الرغدة بالإيمان، فلما بدلوا نعمة الله كفراً زال عنهم رغد العيش، ونعمة الأمان: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(النحل: ١١٢).

الثالث: كل عقوبة بلاء وليس كل بلاء عقوبة:

لقد سمّى الله تعالى العقاب الذي أنزله بأصحاب الجنة «بلاء»، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ (القلم)، فما نزل بهم كان عقوبة على حرمانهم الفقراء.

وليس كل بلاء عقوبة؛ بدليل أن الضر الذي نزل بأيوب عليه السلام لم يكن عقاباً، وإلا فما الذنب الذي اقترفه، فدون خرط القتاد إثبات ذلك حتى يُقال: إن هذا الضر كان عقوبة، فضلاً عن قيله؟! قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء).

الرابع: الابتلاء عام للمكلفين (الأنبياء ومن دونهم):

فالابتلاء لا يسلم منه أحد من المكلفين، فهو يقع بالأنبياء والصالحين، كما في الحديث عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِك قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ ثمّ الأَمْثَلُ فالأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ على حَسَبِ دينه، فإنْ كانَ في دينه صُلْباً اشْتَدّ بَلاؤُه، وإنْ كانَ في دينه رِقّةٌ ابْتُلِيَ على قَدْرِ دينه، فما يَبْرَحُ البَلاءُ بالعَبْدِ حَتّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي على الأَرْضِ وَمَا عليه خَطِيئَةٌ» (صحيح الجامع، ٩٩٢).

أما العقاب، فإنه لا ينزل إلا بأهل الذنوب والمعاصي فحسب؛ لقوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(العنكبوت: ٤٠).

الخامس: الابتلاء قرينة محبة الله تعالى للعبد:

فعن أنس رضي الله عنه، عن النبيّ صَلّى اللّه عَلَيْه وَسَلّم قال: «إنّ عظم الجزاء مَع عظم البَلاء، وإنّ اللّه تعالى إذا أحبّ قوماً ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فلَهُ الرّضا، ومَنْ سَخِطَ فله السخَطُ» (صحيح الترغيب والترهيب، ٣/ ٣٣١).

بينما يكون العقاب قرين غضب الله تعالى؛ لقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ (الزخرف).

الابتلاء اختبار للإنسان.. والعقاب لا يكون إلا جزاء على الذنب

ليس كل بلاء عقوبة بدليل أن الضر الذي نزل بأيوب لم يكن كذلك

السادس: الابتلاء يكون تارة بالخير وأخرى بالشر:

لقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥)، وقال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٨)، في التفسير: أي اختبرناهم بالخصب والعافية، والجدب الشديد، والخصب والعافية والنماء أمر محبوب للنفوس، بينما الجدب والقحط تنبو عنه النفوس.

السابع: الابتلاء لرفع الدرجات والعقاب تكفير للسيئات:

فالابتلاء يكون لرفع الدرجات؛ ودليله في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنّ الرجُلَ لَيكونُ له عندَ اللهِ المنزلةُ، فما يَبْلُغها بعَمَلٍ، فما يَزالُ يَبْتَليهِ بما يَكْرَهُ حتّى يُبْلِغَهُ إيّاها» (صحيح الترغيب والترهيب، ٣/٣٣١).

أما كون العقوبة تكفيراً للسيئات، فدليله قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠).

الابتلاء لا يسلم منه أحد من المكلفين.. والعقاب لا ينزل إلا بأهل المعاصي فحسب

الابتلاء قد يكون رافعاً للدرجات.. أما العقوبة فتكون تكفيراً للسيئات

الثامن: أثر البلاء والعقاب على المؤمن وغيره:

فالمؤمن الصالح يعقل ويتفكر، ويحاسب نفسه ويراجع ربه، ويعلق قلبه بالله تعالى، فهو وحده كاشف الضر لعقيدته الصحيحة في الله ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنعام: ١٧)، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يونس: ١٠٧).

أما غير المؤمن فإنه لا يحاسب نفسه، ولا يراجع ربه، ولا يدري فيما أصيب، ولا فيما عوفي، وما الذي يتوجب عليه في الحالين، ففي شعب الإيمان للبيهقي عَنْ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ عَلَى صَدِيقٍ لَهُ نَعُودُهُ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا ابْتَلَى عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَلَاءِ ثُمَّ عَافَاهُ كَانَ كَفَّارَةً لِمَا مَضَى، وَمُسْتَعْتَباً فِيمَا بَقِيَ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ إِذَا أَصَابَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَلَاءِ ثُمَّ عَافَاهُ كَانَ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثُمَّ أَطْلَقُوهُ، لَا يَدْرِي فِيمَا عَقَلُوهُ، وَلَا فِيمَا أَطْلَقُوهُ» (شعب الإيمان، ١٢/٣١٢).

ويشير إلى ذلك الحديث الصحيح: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفَيِّئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً، وَتَعْدِلُهَا مَرَّةً، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالأَرْزَةِ، لا تَزَالُ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً» (متفق عليه).■

الزلازل.. قراءة شرعية وعظة حياتية

د. أحمد طه عبدالله

دكتوراه في الحديث - إمام المنتدى العربي بألمانيا

مرت علينا، في الأيام الماضية، أحداث أفجعت العالم والأمة الإسلامية جميعاً، حينما استيقظت على خبر الزلزال الذي دمر كثيراً من القرى والبلاد في تركيا وسورية، ووصل أثره واستشعرت به دول كثيرة من لبنان للعراق لمصر وغيرها، وقد طالعتنا مواقع الحدث المرئي وعدساته -وما زالت- على أمور لا يصبر الإنسان الطبيعي على رؤيتها، ولا يتحمل قلبه لهولها.

هذا الحدث الجديد القديم يدفعنا إلى قراءة حدث الزلازل قراءة شرعية إسلامية، وعبر وعظات حياتية نسجلها للمسلمين، ونقصد هنا فريقين:

الأول: الذي لا يستطيع تفسير الحدث تفسيراً إسلامياً في ظل إيمانه وإسلامه بقضاء الله وقدره، غير أنه لا يستطيع أن يصل لذروة الفهم من هول الأمر وشدته، أو لذروة التطبيق العملي لما تربى عليه نظرياً من سُنة الاختبار والابتلاء من خلال القرآن والسُّنة خاصة في مقابل ما يتعلق بعدل الله وفضله ورأفته بعباده.

والفريق الثاني: الذي يحاول استغلال الحدث دائماً لتوجيهه توجيهاً واحداً لا ثاني له في جعله انتقاماً إلهياً، وعذاباً سماوياً، للعصاة والمذنبين، جامعاً في سياقاته أقواماً وأمماً لقوا حتفهم بهذا الأمر وبهذه الطريقة وأُبيدوا عن بكرة أبيهم كقوم ثمود وعاد ومدين وقوم لوط، وكأن أصحاب هذا الفريق معصومون منزهون عن المعاصي غير مرتكبين لها.

لقد حدثنا القرآن الكريم طويلاً عن السنن الكونية في تنوع مختلف بين ما سيكون حتمياً في الدنيا، وما سيحدث قرب الساعة وبعد قيامها، من ذلك ما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ

دَعَوُاْ اللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (يونس: ٢٢)، كما تكلم رب العالمين عن الزلازل في كثير من الآيات، بل سميت سورة بهذا الاسم «الزلزلة»، وقال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً﴾ (الواقعة: ٤).

والحديث عن هذه السنن متنوع المفهوم والمقصد والقراءة الشرعية الصحيحة، من ذلك:

أولاً: السنن الكونية أصل في بيان القدرة الإلهية:

تأتي سنن الله في كونه وهو الخالق سبحانه من زلازل وبراكين وخسوف وكسوف ومنع للقطر وشدة للرياح والعواصف وغيرها لبيان طلاقة قدرته سبحانه وتعالى، وعندما تدرك هذه القدرة فإنها تفرز كثيراً من الأمور التي يجب التنبيه والتذكير بها والإفاقة من نسيانها، فقد قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ (الأنعام: ٦٥)، وعند البخاري عن عَبْدِاللَّه بن مسعود: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ مِنْ أَهْل الكِتَاب فَقَالَ: يَا أَبَا القَاسِم، إِنَّ اللَّه يُمْسِكُ السَّمَاوَات عَلَى إِصْبَع، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَع، وَالشَّجَرَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَع، وَالخَلاَئِقَ عَلَى إِصْبَع، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَنَا المَلِكُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّه حَقَّ قَدْرِه﴾ (الحج: ٧٤)».

ثانياً: النبي عاش بعض هذه السنن الكونية:

تأكيداً لثبوتها وتسنيناً لكيفية التعامل معها، فعند البخاري عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى مَخِيلَةً -يَعْنِي الْغَيْمَ- تَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وَتَغَيَّرَ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ، قَالَتْ: فَذَكَرَتْ لَهُ عَائِشَةُ بَعْضَ مَا رَآَتْ مِنْهُ، فَقَالَ: «وَمَا يُدْرِينِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ: فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ، قَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا، بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ، رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ».

والنبي هنا يُحيي سُنة الخوف من الله واللجوء الدائم إليه وأهمية قراءة هذه السنن في ضوء التقرب إليه والتضرع بين يديه ومعرفة قدرته، وهديه معلوم في الكسوف والخسوف والاستسقاء وغيرها من الكوارث التي حلت بزمانه، وتنزلت بأماكنهم وهو بين ظهرانهم، من حسن توجيه بين يديه وتسنين يحمل الناس عليه، فكيف يقول أحدهم: إنه عذاب نزل أو حل والله قد نفى عنه هذا: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ (الأنفال: ٣٣).

ثالثاً: علامة دنو الساعة:

فما الزلازل والبراكين والفتن إلا علامة لدنو الساعة وقيامتها، وانتهاء الدنيا وزخرفها، وينبغي أن تقرأ الأحداث الحاصلة في هذا السياق، وما يترتب عليه من سُنة الاستعداد للرحيل وحسن الاستقبال للخاتمة ونهاية الدنيا، فعند البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ -وَهُوَ القَتْلُ- حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ».

رابعاً: النظرة الإيجابية للأحداث:

وهذه النظرة أهم ما ينبغي قراءة الحدث من خلالها، فما الزلازل وغيرها من هذه السنن إلا جزء من الابتلاء الذي يبتلى فيه المؤمن على إيمانه ودينه، بل إنه علامة على الخيرية التي أرادها الله تعالى بعباده لمن فُقِدَ شهادة وخاتمة سعيدة، ولمن فَقَدَ وصبر تسلية وأجراً على صبره واحتسابه، فقد روى البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّه بِه خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ»، وعنه أيضاً قَالَ: «مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّه بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»، وقد كتب لهؤلاء الشهادة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، حيث روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه قَالَ: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّه».

خامساً: تأكيد العدل الإلهي:

فليس موت الأطفال والكبار والبهائم وغيرهم ممن رفع عنهم القلم أو تأكد ضعفهم منافياً لعدل الله تعالى، بل إن حكمته وعدله قائمان لا حيف ولا ظلم ذرة واحدة، غير أن هذا العدل يجب أن يقرأ في صور مهمة:

- فالعدل منه سبحانه قائم على علمه

عدل الله قائم على علمه بالغيب والمشاهدة وعلى الدنيا والآخرة وعلى الإبقاء والاصطفاء

سنن الله في كونه تأتي لبيان طلاقة قدرته وإحياء لسُنة الخوف منه واللجوء إليه

هذه الكوارث أيقظت كثيراً من سباتهم وأعادت الروح الجماعية للأمة

.. وأحيت جذوة الإيمان في قلب المسلم وأعادت نظرته لدنياه وآخرته

بالغيب والمشاهدة، فمقياس الناس في رؤية الأمور مناط المشاهدة لا الغيب، وبالتالي فالحيف منا نحن في سرعة الاتهام أو في رؤية الأسباب دون غيبيات الأمور.

– والعدل منه سبحانه قائم على الدنيا والآخرة لا الدنيا فقط، فقد يبتلي الكثير في الدنيا لحكمته ولاختبار عباده، لكنه لا يظل بلاؤه لمن صبر واحتسب وسلم في الآخرة، فيجزي بالإحسان والخير والفضل، وتتبع في كتاب الله قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩).

– والعدل منه سبحانه قائم على الإبقاء والاصطفاء؛ فقد يبقي عبداً لم يصل بعد بعمله إلى بر الأمان ونيل الجنان، وقد يصطفي آخر إلى الملأ الأعلى بعد أن يكون قد حقق بعمله أو بفضل الله عليه ما يدخله الجنة؛ فيكون عدله سبحانه وتعالى تم، وفضله حل.

– والعدل منه يقتضي في بعض الخلق عقوبة رادعة ليخلص إليه وما عليه شيء، فيُري البعيد هول الحدث وشدته.

وأما العظة الحياتية التي تؤخذ من هذا الحدث، وهي الغاية المرجوة من مثل هذه الأحداث، فيمكن التنبيه على أهمها فيما يلي:

١- إحياء اليقظة الجماعية:

إن هذا الحدث قد أخرج في حقيقة الأمر كثيراً من المنطوين على أنفسهم، المنكبين على شأنهم الداخلي والحياتي، كما أنه أيقظ كثيراً من سباتهم، وأعاد بوصلة الروح الجماعية بين أفراد الأمة الواحدة.

ولعل هذا الموقف شبيه بموقف حدث أيام النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ لَيْلَةً، فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ اسْتَبْرَأَ الخَبَرَ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا» ثُمَّ قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْراً» أَوْ قَالَ: «إِنَّهُ لَبَحْرٌ»، فقد أخرج الصوت أهل المدينة خرجوا جميعاً لينظروا ويساعدوا، ترك كل واحد ما في يده وانطلقوا إلى المؤازرة والدعم والتفقد الذي يسلم معه المجموع ويقدم فيه أمن الجميع على الفرد، فكيف ينصلح حال الأفراد دون يقظة جماعية تجمع شملهم وتوحد قوتهم؟

٢- تفعيل أخلاق منسية:

لقد جاء هذا الحدث فأخرج وفعّل أخلاقاً منسية أو خارجة عن نطاق العمل والخدمة لم تعد موجودة بكثرة، مع أنها من أصول تكويننا، كنا نقرأ عنها ونكاد نحسد من قام بها، من هذه الأخلاق: النجدة، والتأثر بالمصاب، والإحساس بوجع الأمة، وقد تجسدت جميعها في هذا الحدث من المحيط إلى الخليج؛ سرعة في النجدة، وتأثراً قضَّ مضاجع الآمنين المنعمين، ودعاء ودعماً ومعايشة.

٣- إيقاظ الإيمان المخدر:

فالإيمان موجود، لكنه ضعيف، ومثل هذه الحوادث تحيي جذوة الإيمان في قلب الجميع لمن تفطن؛ أين أنا؟ وكيف لو كنت مع من فُقد؟ أمور تعيد نظرة الإنسان لدنياه وآخرته، وتوقفه عن غيّه ومعصيته، وتُوقظ فيه إيماناً مخدراً، وتُجدد معه تغييراً لمسيرته، وتجعل على أولوياته ربه ودينه وآخرته.

٤- عودة الخوف من الله في توازن الحياة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً﴾ (الإسراء: ٥٩)، ومثل هذه الآيات تخيف، والخوف أحد جناحي التوازن الحياتي عند المسلم مع الرجاء، إذا غاب حلَّ بدله كثير من الطغيان والظلم والاعتداء والكبر، فمن أمن العقوبة أساء الأدب، فتأتي هذه الآيات لتردع وتخيف وتعيد النظام إلى حياة الإنسان وتحمله على إبصار موضع الأقدام ورؤية الأجل والحساب.■

العالم الجيولوجي د. زغلول النجار في حوار لـ«المجتمع»:

القرآن وصف الزلازل بدقة بالغة.. والدرس المستخلص مما حدث العودة إلى الله

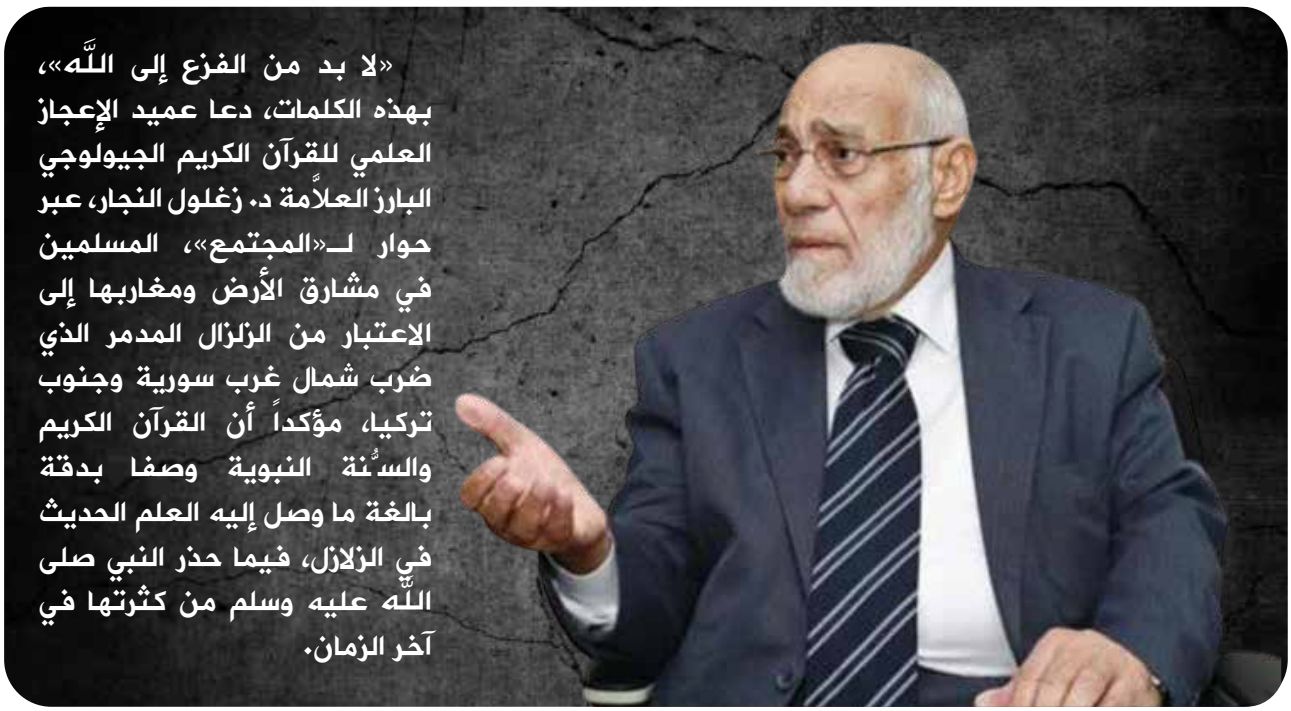

«لا بد من الفزع إلى اللَّه»، بهذه الكلمات، دعا عميد الإعجاز العلمي للقرآن الكريم الجيولوجي البارز العلاَّمة د. زغلول النجار، عبر حوار لـ«المجتمع»، المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى الاعتبار من الزلزال المدمر الذي ضرب شمال غرب سورية وجنوب تركيا، مؤكداً أن القرآن الكريم والسُّنة النبوية وصفا بدقة بالغة ما وصل إليه العلم الحديث في الزلازل، فيما حذر النبي صلى اللَّه عليه وسلم من كثرتها في آخر الزمان.

حوار- حسن القباني:

• تطرق القرآن الكريم والسُّنة النبوية للزلازل، ما الإعجاز العلمي فيما جاء فيهما؟

- سبق القرآن الكريم جميع المعارف المكتسبة بأكثر من ألف وأربعمائة سنة، وذكر ربنا سبحانه وتعالى عدداً من الآيات القرآنية الكريمة التي تصف الهزات الأرضية بدقة فائقة، قبل أن يعرف الإنسان شيئاً عن هذه الكارثة، ومن أبلغ هذه الآيات: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل)، وهذه الآيات تصف فعل الهزات الأرضية بدقة كبيرة.

كذلك جاء وصف الزلازل في العديد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، علماً بأنه لم تحدث زلزلة واحدة في زمانه كرامة له، ولكن جاء في أحاديثه ما يفيد بأن من علامات الساعة كثرة الزلازل، ومن أبلغ تلك الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: «تكون في أمتي رجفة يهلك فيها عشرة آلاف، عشرون ألفاً، ثلاثون ألفاً، يجعلها الله موعظة للمتقين، ورحمة للمؤمنين وعذاباً للكافرين».

• كيف ترون دلالات الكوارث في هذا الزمن الصعب على المسلمين؟

- يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٣٦)، وفي سورة «سبأ»: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ (سبأ: ٩)، وقال تعالى في ذات السورة: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾(سبأ)، وفي سورة «الإسراء»: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً﴾ (الإسراء:

٦٨)، وفي سورة «الملك»: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (الملك: ١٦)، وفي سورة هود: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: ١١٧)، وفي سورة «التغابن»: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن: ١١).

• يقول بعض الناس: ضرب الزلزال الأخير دولة تناصر قضايا المسلمين بقوة كتركيا، هل ذلك فتنة للناس في دينها أم ابتلاء؟

– لا شك في أن تركيا تحت قيادتها الحالية تمثل طليعة إسلامية مباركة، ونسأل الله تعالى أن يوفق تلك القيادة إلى المزيد من العمل والتأييد حتى تعيد تركيا إلى دورها القديم في قيادة العالم الإسلامي، ولكن لا يخلو الأمر من معارضين لهذا التوجه، وهنا نتذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يؤكد أن الذي حدث هو ابتلاء من الله تعالى، ربما نعلم الحكمة منه بعد انتهاء هذه المحنة، ويكفي في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «الشهداء خمسة.. منهم صاحب الهدم»، ولا ننسى طاعون «عمواس» الذي قضى على حوالي ٣٠ ألفاً من المسلمين، وكان فيهم من هم خيرة أهل الأرض.

• ابتلاءات السوريين تحديداً تتعاظم؛ من قتل إلى تهجير إلى زلزال.. ما يثير حيرة بعض المسلمين!

– سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث»، وإغاثة الملهوفين في أوقات الشدائد تعتبر من أعظم القربات إلى الله تعالى، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه».

• كيف يتعامل المسلمون مع توابع الزلزال عقائدياً إيمانياً؟

– الزلازل وأمثالها من الابتلاءات هي من وسائل إيقاظ المسلمين من غفلتهم، ورد الضالين منهم عن ضلالهم، وعقاب للكفار والمشركين في الدنيا قبل الآخرة، فالزلازل وغيرها من الكوارث هي من جند الله تعالى، التي يحركها على من يشاء، عقاباً للعاصين وابتلاء للصالحين وعبرة للناجين.

• ما واجب المسلمين في هذا الوقت تجاه المتضررين من الكوارث عامة والزلزال الأخير خاصة؟

– مد يد العون بسخاء للمتضررين، ومن ذلك توفير المأوى والطعام والشراب والعلاجات الصحية والنفسية وإزالة آثار الدمار، وصحوة الناجين والإيمان بأن الله سبحانه هو رب هذا الكون ومليكه، والاعتبار بما حدث وفي مقدمته محاربة شح النفس، وأن المعاصي تستوجب العقاب والفزع إلى الله تعالى وأداء العبادات المسنونة لذلك.■

ما حدث بتركيا وسورية ابتلاء له حكمة قد تظهر بعد المحنة.. وصاحب الهدم شهيد

طاعون «عمواس» طال خيرة أهل الأرض كما جاء بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم

مد يد العون للمتضررين واجب على كل المسلمين حتى يتم التعافي من آثار الدمار

طلاقة القدرة الإلهية وقبح العنصرية الصليبية!

أ.د. حلمي القاعود
أستاذ الأدب والنقد

إن الزلازل مع ألوان التقلبات الطبيعية الأخرى تعبير حي وعملي عن قدرة الله غير المحدودة، في إظهار هيمنته على العالم، ووحدانيته المطلقة، وأنه فوق كل قوة ترى في نفسها قوة لا تقهر، وكأنه يقول لهم: كلا، إياكم والغرور ونسيان من خلق الكون، الذي سخره للإنسان وذلل له مخلوقاته الأخرى، وهو في كل الأحوال يذكّر من ينسى، وتخويف من لا يخاف: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً﴾ (الإسراء: ٥٩)، وسبحانه يعلم أن بعضهم بعد تخويفه يزداد طغياناً كبيراً؛ ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً﴾ (الإسراء: ٦٠).

وأياً كان الأمر، فالأحداث الكبرى في أمتنا والعالم، ومنها الزلازل، تنبئ عن دروس وعبر شتى، تفيد منها الأمة والإنسانية، ولعل أول هذه الدروس وأهمها هو التضامن العربي والإسلامي والدولي مع الشهداء والمصابين والمشردين، وقد عبر كثير من العرب والمسلمين على المستويين الشعبي والرسمي عن تعاطفهم واستعدادهم للتطوع في عمليات الإنقاذ والمساعدة لمن أصابهم الزلزال في تركيا وسورية.

وكذلك، من الدروس المهمة ارتباط عمليات الإنقاذ بالإيمان والتسليم بقدر الله عز وجل، وقد شاهد العالم تكبير المنقذين وهم يعثرون على طفل حي أو إنسان ما زال يتنفس، وكان صوت «الله أكبر» علامة مميزة للهوية الإسلامية على مستوى العالم، المسلمون في كل مكان مشدودون إلى أماكن الزلزال يترقبون إنقاذ روح، ويتابعون على مدار اليوم والليلة ما يجري في البلدين المنكوبين!

ومن الدروس المهمة، أيضاً، أخذ الحيطة والحذر والاستعداد لمثل هذه الأحداث، ولم يعد توفير المعدات وتجهيز أطقم الإنقاذ، وتخزين البدائل لإيواء المشردين، وأماكن الإسعاف والعلاج؛ ترفاً أو مسألة يمكن تأجيلها لحين وقوع الحدث، ويرتبط ذلك بمدى قدرة الدولة واهتمامها برعاية مواطنيها، وقد حققت تركيا في هذا السياق تقدماً ملحوظاً، فقد

سورة «الزلزلة» تتحدث عن يوم القيامة، وكأنها تشير إلى الزلزلة الدنيوية التي شهدناها ونتابع آثارها، وربما هي صورة مصغرة من زلزلة الآخرة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ (الزلزلة)، هذا ما رأيناه بصورة مصغرة في تركيا وسورية قبل أيام، وما زالت توابعه وآثاره تتحرك من حين لآخر، وتضع العالم كله في دائرة رد الفعل والتأمل والتفكر، مشهد من القيامة حين تضطرب الصورة اضطراباً شديداً، وترتجف الأرض الثابتة ارتجافاً، وتزلزل زلزالاً، وتنفض ما في جوفها نفضاً، وتخرج ما يثقلها من المحتويات والأموات، مشهد يخلع القلوب، ويهز الثوابت.

خرج المعنيون من أكبر مسؤول إلى أصغر موظف، لمتابعة الحدث من أول لحظة.

وقال الرئيس التركي «أردوغان»: من مات لا نستطيع إحياءه، لكن ما تهدم في المدن العشر سوف نعيد بناءه في عام واحد على أحدث نظم البناء، ويتم تسليمه دون تحمل ساكنه ليرة واحدة، وقد خصصنا ١٠٠ مليار ليرة (٥.٢٦ مليارات دولار) دفعة أولى، تحت تصرف مؤسساتنا للمساعدات الطارئة وأنشطة الدعم، ولن نسمح باستمرار بقاء المواطنين في الشارع أو الخيام، وقد تعاقدنا مع عدد من الفنادق في عدة مدن لاستضافة المنكوبين لحين تجهيز مساكنهم.

وأقامت الحكومة التركية آلاف الخيام لإيواء الذين فقدوا مساكنهم، وعشرات المستشفيات الميدانية للإسعافات والعلاج، وتوفير وسائل النقل البري والجوي لنقل من تستدعي حالتهم العلاج في المستشفيات.

وعلى الصعيد الشعبي الإسلامي، فقد بذل الأفراد والجمعيات جهوداً ليست هينة، ونشرت الوكالات صورة لمواطن بسيط من أذربيجان يقود سيارته نحو الأماكن المتضررة (٢٠٠٠ كم)، وقد حمل السيارة ما تستطيع من أغطية وملابس وطعام ليقدمه إلى المتضررين، كما نشرت صورة أخرى لصاحب محل كبير في إسطنبول وهو يتبرع بمحتوياته الغذائية وأدواته المنزلية لمن أصيبوا في الزلزال، ومن ذلك كثير.

أما على الجانب السوري، فكانت الحالة سيئة للغاية، حيث وجه النظام الحاكم في دمشق المساعدات الخارجية إلى المناطق التي يسيطر عليها، وترك المناطق الأخرى التي تضررت، وعاشت محنة مزدوجة بين قسوة البرد والثلوج والأمطار من ناحية، وعذابات الدمار والخراب والعيش في الخيام المهترئة من ناحية أخرى.

بصفة عامة، كان موقف الغرب العملي -بعيداً عن التصريحات الإنشائية- مائعاً ومتراخياً، وكأنه يشمت في صمت، ولكن مجلة «شارلي إيبدو» فجّرت الصمت الصليبي، وكشفت قبحه الوحشي، وهمجيته الرخيصة، حين صاغت كاريكاتيراً ساخراً من الزلزال والشهداء والمصابين والمشردين، فقد نشرت المجلة الفرنسية، عبر حسابها الرسمي في «تويتر»، صورة تُظهر بناءً مدمّراً، أرفقته بعنوان «زلزال في تركيا.. لا داعي لإرسال الدبابات»، في سخرية من الدمار الذي لحق بالبلاد بسبب الزلزال!

لقد أثار منشور «شارلي إيبدو»، ردود فعل غاضبة حول العالم، تنتقد ما أقدمت عليه المجلة الفرنسية بذريعة حرية الرأي والتعبير، وانتفض أصحاب الضمير الحي في الغرب الصليبي لانتقاد ما أقدمت عليه المجلة الفرنسية العنصرية، ووصفت وسائل إعلام ووكالات عالمية، أبرزها «الأناضول» التركية، ما نشرته «شارلي إيبدو» بأنه جريمة كراهية، كما رأى مغردون بأن المنشور فيه سخرية وشماتة بحق تركيا، وبشكل استفزازاً للمسلمين.

ورأت الكاتبة كاريل فلانسي أن الكاريكاتير مخزٍ؛ لأنه يسخر من معاناة آلاف الأشخاص، وقال الكاتب البريطاني حمزة تسورتزيس، في تغريدة على «تويتر»: إن ما فعلته «شارلي إيبدو» دليل جديد على موت الحضارة في فرنسا العلمانية، كما قال الشاعر والروائي العراقي سنان أنطون: إنّ «شارلي إيبدو» الفرنسية معروفة بعنصريتها، وأكد أن هذا الكاريكاتير يسخر من ضحايا الزلزال بكل حقارة، ووصف د. علي القره داغي، الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ما قامت به المجلة بأن هذه هي أخلاق الإنسانية التي يتبجحون بها، لا نقابل جهلهم بجهل، ولا نشمت أو نبتهج بموت أو مصيبة حلت بمن لا يؤمن بديننا.

في حين أدان أدان مرصد الأزهر لمكافحة التطرف الرسومات غير الإنسانية الساخرة التي نشرتها مجلة «شارلي إيبدو» تعليقاً منها على كارثة الزلزال في تركيا، وأكد المرصد أن تلك الرسومات تُعدُّ نوعاً من أنواع خطاب الكراهية التي تحرمها وتجرمها الأديان كافة والمواثيق والأعراف الدولية.

وأشار المرصد إلى أن الاستهزاء بآلام المنكوبين والتلاعب بالمشاعر الإنسانية لا يمت بصلة لحرية التعبير.

ومهما يكن من أمر، فإن واجب المسلمين الاستيقاظ من الغفلة، والإعداد للطوارئ، والاعتماد على الله تعالى ثم على أنفسهم في مواجهة تقلبات الأيام.■

موقف الغرب كان مائعاً وكأنه يشمت في صمت حتى فضحته «شارلي إيبدو»!

الزلازل تعبير عن قدرة الله تعالى ووحدانيته المطلقة

الزلازل.. والأسئلة الوجودية

مصطفى عاشور
كاتب مهتم بالشأن الثقافي

الزلازل، هي الأكثر تأثيراً في وجدان الإنسان، من بين كوارث الطبيعة، وأكثرها طرحاً للأسئلة الوجودية حول الخالق سبحانه وتعالى، والمصير، والموت، والحكمة المتخفية من ورائها، ولعل ذلك بسبب فجأة الزلزال، وقدرته التدميرية وكثرة القتل في ثوان معدودة، وعدم صمود أي شيء أمامه؛ فتصير مفاخر الحضارة في البنيان هي الأكثر خطورة، وكذلك تشابه حالة الهلع التي تصيب الجميع.

تشير الإحصاءات العالمية إلى أن عدد ضحايا الكوارث الطبيعية نحو ٦٠ ألفاً كل عام؛ من جفاف وتسونامي وفيضانات وحرائق غابات وزلازل، ويتأثر بتلك الكوارث حوالي ١٥٠ مليوناً آخرين، وحسب إحصاءات جامعة أكسفورد، فنسبة وفيات الكوارث تعادل ٠.١% من بين الوفيات العالمية، التي تُقدر بـ٧.٢ ملايين شخص كل عام، ومعنى هذا أن وفيات الزلازل تشكل نسبة ضئيلة جداً في نسبة الوفيات العالمية مقارنة بحوادث الطرق التي تحصد حياة ١.٣ مليون إنسان، وتصيب قرابة ٥٠ مليوناً آخرين.

ولكن، لماذا يطرح الزلزال أسئلته الوجودية، خاصة على الإنسان الحداثي العلماني المتشبع بقيم المادية والنفعية؟ ولماذا كان الدين هو المهرب مع تلك الكارثة؟

في جامعة كوبنهاجن الدنماركية، خلصت الباحثة «جانيت بنتزن» في بحثها عن الزلازل والدين[1] أن التدين يزداد بنسبة ٧.٦% في المناطق التي تعرضت لزلزال، مقارنة بالمناطق التي لم تشهد الزلزال، وقالت: «وجدتُ أن الأفراد في جميع أنحاء العالم يصبحون أكثر تديناً عندما تضربهم الزلازل، ويستمر تأثير أي زلزال من ٦ – ١٢ عاماً، ولكن أثره يبقى وينتقل عبر الأجيال»، وأشارت إلى أن العواصف والأعاصير لا تملك نفس تأثير الزلزال في زيادة التدين، وتعلل ذلك بأن الكوارث التي لا يمكن التنبؤ بها هي ذات التأثير الأكبر على حالة التدين.

وفي كتاب آخر هو «روايات الإيمان في زلزال هايتي»[2] الذي يتحدث عن الزلزال الذي ضرب دولة هايتي، في يناير ٢٠١٠م، وخلّف أكثر من ٢٢٠ ألف قتيل، وحوالي ١.٣ مليون مشرد، ويعد من أقوى الزلازل التي سجلها الإنسان، يكشف الكتاب الذي استغرق إعداده فترة طويلة من العمل الميداني والبحثي، عن تأثير الدين في لحظات الكوارث وبخاصة الزلازل، وكيف أثر الزلزال على الجانب الاعتقادي للشخص، وكيف أثر التدين على التعجيل بحالة التعافي من الأزمات النفسية بعد الزلزال.

وفي دراسة ثالثة بعنوان «الإيمان بعد الزلزال»[3] قام بها الباحثان «كريس سيبلي»، و«جوزيف بولبوليا»، فقد وثق الباحثان ارتفاعاً للتدين في مدينة كرايستشيرش بنيوزيلندا بعد الزلزال الذي ضربها، في ٢٢ فبراير ٢٠١١م، وتسبب في مقتل ١٨٥ شخصاً، وأكد الباحثان ازدياد الإيمان الديني في المنطقة بعد الزلزال، وقالا: «إن هذا أول دليل على مستوى السكان أن العلمانيين يتجهون إلى الدين في أوقات الأزمات الطبيعية».

ولكن، هل يكشف اندفاع الإنسان للدين بعد الزلزال عن أزمات وجودية في الحداثة؟

في البداية، الكارثة الطبيعية مؤشر قوي على العجز الإنساني أمام الطبيعة،

وتذكير بأن هناك قوى في الكون لا يستطيع أن يواجهها الإنسان أو يتحكم فيها، أو حتى يفهم غايتها ودوافعها من وراء إحداث الكارثة، وهو ما يرسخ هذا العجز، ويكسر الغرور الذي خلقه المنطق الحداثي العلماني التقني، بأن العلم قادر على إدراك كل ما يحيط بالإنسان، والسيطرة عليه والتحكم فيه.

كذلك، فإن الزلزال يطرح مفهوم الموت والمصير بجلاء أمام أعين الجميع، ففي المجتمعات الحديثة، يلاحظ أن الموت يتخفى بعيداً عن المستشفيات، أما مراسمه فتحاصرها جدران القاعات، وهو ما يجعل الموت شأناً خاصاً ومنعزلاً إلى حد كبير، ولا يشعر به المجتمع، الذي يراود بعضاً من أفراده حلمُ الخلود، ولكن مع الزلزال يطفو الموت على الشاشات ويطل من تحت الأنقاض، وتبدو ملامح الخوف والهلع؛ لأن الموت لم تعد له أسباب يمكن علاجها؛ بل أصبح قراراً خارج الإرادة الإنسانية، وبصورة لا تستثني أحداً، وهو ما يُفقد الإنسانَ الإحساسَ بالأمن من الموت بصورة مرعبة.

ويطرح الزلزال فكرة الفناء غير المسبب، لهذا فالزلزال لا يهدد الحياة فقط، ولكن يهدد المعتقد -أيضاً- للإنسان الحداثي العلماني؛ لأن الموت مع الزلزال يطرح سؤال المعنى، الذي حاولت الحداثة طمسه، مع تسارعها في الإنجاز التقني.

وربما هذا ما تنبه إليه «سيجموند فرويد»، في كتابه «مستقبل الوهم»، الصادر قبل مائة عام عندما قال: «لا أحد يتوهم أن الطبيعة قد هُزمت بالفعل، فهناك عناصر يبدو أنها تسخر من سيطرة

الكوارث الطبيعية مؤشر على العجز الإنساني وكسر لغرور المنطق الحداثي التقني

..وتجد الحداثة نفسها مضطرة للاستعانة بالدين لتسكين الخواطر

الإنسان المطلقة؛ فالأرض التي تهتز وتمزق وتدفن كل حياة بشرية؛ والماء الذي يغرق كل شيء في حالة اضطراب؛ والعواصف التي تطيح بكل شيء أمامها، والأمراض، وأخيراً لغز الموت المؤلم، الذي لم يُعثر على دواء ضده، وربما لن يكون موجوداً على الأرجح، مع هذه القوى تثور الطبيعة علينا، مهيبة وقاسية لا هوادة فيها؛ تعيد إلى أذهاننا مرة أخرى ضعفنا وعجزنا».

في تلك اللحظات المصيرية، ومع هزات الزلزال، تُمَزق الحُجُب التي صنعتها الحداثة لتغييب سؤال المعنى والمقدس؛ فالعقلانية التي تفتخر بها الحداثة تقف عاجزة عن الفهم والسيطرة؛ بل وحتى عن النجاة بنفسها.

لكن الأخطر على الرؤية الحداثية، مع الزلزال، أن الحداثة تجد نفسها مضطرة إلى الاستعانة بالدين لتسكين الخواطر، وتخفيض حالة الهلع والذعر، وعلاج الاضطرابات النفسية؛ وهو ما يعني أن الدين ما زال حاضراً بقوة وإيجابية، وقادراً على التأثير في المجتمع والإنسان، لذلك زادت الدراسات حول دور الدين في الكوارث، واستجابة الكثير من الناس للمنطق الديني في التعامل مع الكارثة، وهو ما أكده المؤتمر الذي عقده «برلمان أديان العالم» عام ٢٠٠٩م بعنوان «الإيمان، والمجتمع، والحد من مخاطر الكوارث»، وتضمن فصلاً بعنوان «كيف يؤثر الدين والمعتقدات على التصورات والمواقف تجاه المخاطر؟»، الذي أكد أن الدين يساهم في التعافي من الأزمات والكوارث، وأن بعض الناس يتجاهلون تلك المخاطر، ويعتبرون أن قدرتهم صغيرة جداً لمواجهتها، وهنا يأتي سؤال الدين، الذي يخلق المعنى، ويشكل المنظور الذي يرى الإنسان من خلاله العالم، ولذلك يرى هؤلاء الأحداث الكونية، بما فيها الكوارث، طريقة يظهر بها الإله وجوده في الكون وهيمنته عليه.

والحقيقة أن الرؤية الإسلامية تؤكد أن تدبير الكون ليس ببعيد عن القدرة الإلهية، فالكون ليس مقطوع الصلة بخالقه، وأن الكوارث الطبيعية، بما فيها الزلازل، تتخفى وراءها حكمة، وهذه الحكمة قد تكون تنبيهاً بالعودة إلى الله تعالى، وقد تكون عقاباً، وقد تكون خيراً رغم ظاهرها المأساوي، وأن الضحايا شهداء؛ لأن الهدم سقط عليهم، وأن الخسائر المادية ابتلاء، سيعوضه الله مع الصبر والعمل، أما تقديم العون للمتضررين فهو إحسان عظيم، وبذلك عالجت الرؤية الإسلامية الكارثة بمستويات عدة، بدءاً من الرؤية الوجودية للكون، وانتهاءً بالسلوك المجتمعي الإيجابي.■

المصادر

(1) Acts of God? Religiosity and Natural Disasters Across Subnational World Districts.

(2) Narratives of Faith from the Haiti Earthquake.

(3) رابط الدراسة https://journals.plos.org/plosone/journal./10.1371=article?id.0049648.pone

الانعكاسات السياسية للزلزال في تركيا

د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

أعلن الرئيس التركي «رجب طيب أردوغان»، فور وقوع الزلزال، الحداد لمدة أسبوع في عموم البلاد وحالة الطوارئ في المحافظات المنكوبة لتسهيل أعمال الإنقاذ وضبط الأمن فيها، فضلاً عن تعليق الدراسة بمختلف المستويات لعدة أسابيع، وبسبب القوة التدميرية الكبيرة للزلزال (قدرها البعض بقوة ٥٠٠ قنبلة نووية) وسعة انتشاره جغرافياً، فقد أعلنت السلطات التركية منذ الساعات الأولى إنذاراً من المستوى الرابع، طالبة العون الدولي، وقد مدت لها يد العون عشرات الدول والمنظمات الدولية بما شمل أكثر من ١١ ألف عامل إنقاذ.

وبتقدير الدمار الذي تسبب به الزلزال، وعد الرئيس التركي بإتمام عملية إعادة الإعمار في المحافظات المتضررة خلال عام واحد فقط، حيث قدر عدد المباني التي تحتاج إعادة إعمار بما يناهز ٢٠٠ ألف مبنى، بين مبانٍ سقطت بالكامل، وأخرى تضررت بشكل كبير أو متوسط ولم تعد بالتالي صالحة للسكن.

وإذا ما كانت الخسائر البشرية هي الأهم والأكثر إيلاماً في الزلزال، فإن التبعات الاقتصادية مهمة كذلك، إذ تدخل في تكلفته الخسائر المادية المباشرة لقطاعات الاقتصاد المعروفة وخصوصاً الصناعة، وأعمال الإنقاذ والإغاثة، ودعم الأسر المتضررة لمدة طويلة، فضلاً عن عملية إعادة الإعمار وكذلك إعادة تقديم الخدمات الصحية والتعليمية وغيرها، وقد تفاوتت تقديرات مختلف المؤسسات المالية المحلية والدولية لكلفة الزلزال على تركيا مالياً، حتى أوصلها البعض لما يقرب من ٨٥ مليار دولار.

ومن المتوقع أن يكون للزلزال آثار سلبية مباشرة على نسبة التضخم وسعر صرف الليرة مقابل العملات الأجنبية، إضافة لتراجع نسبة نمو الاقتصاد في عام ٢٠٢٣م على أقل تقدير، لكن عملية إعادة الإعمار قد تنشط الاقتصاد على المدى المتوسط، وفق خبراء اقتصاديين.

التضامن والتكافل

وقد سادت منذ اللحظات الأولى مشاعر التضامن والتكافل ومدّ يد العون أرجاء البلاد، وتوحد الجميع لنصرة المتضررين من الزلزال، لكن ذلك لم يمنع تحول الزلزال لمادة استقطاب سياسية كذلك.

كان ذلك متوقعاً نظراً لتبعات الزلزال وكذلك قرب الانتخابات، إلا أن تسييس الأمر ونقله للنقاش السياسي العام بدأ مبكراً جداً، خصوصاً من قبل حزب الشعب الجمهوري، أكبر أحزاب المعارضة، حيث حمّل رئيسه «كمال كليتشدار أوغلو» الحكومة مسؤولية ما حصل معلناً رفضه مقابلة أي مسؤول حكومي.

توقعات بأن تصل كلفة الزلزال نحو ٨٥ مليار دولار

في حين عمّق الزلزال حالة الاستقطاب الموجودة في البلاد أصلاً بدرجة ملحوظة، وسادت النبرة الحادة في تصريحات السياسيين من مختلف الأحزاب والتوجهات، وبات واضحاً أن الزلزال صبغ الحياة السياسية في البلاد بصبغته وتحول للمادة الأهم في التداول السياسي والإعلامي، خصوصاً ما يلي الانتخابات، كما أن التحالف الحاكم والمعارضة تبادلا علناً الاتهامات بالمسؤولية عن تأخر مشروع «التطوير المدني» الذي يشمل هدم المباني غير المتماسكة وإنشاء أبنية ملتزمة بمعايير مقاومة الزلازل.

ولعل التبعات السياسية الأهم ارتبطت بشكل مباشر بالعملية الانتخابية؛ حيث دعا «بولند أرينتش» إلى تأجيل الانتخابات متسبباً بجدل كبير؛ حيث يعد أحد قيادات الصف الأول سابقاً في حزب العدالة والتنمية، فقد شغل مناصب نائب رئيس الحزب ونائب رئيس الحكومة ورئيس البرلمان وعضو اللجنة الاستشارية العليا في الرئاسة.

قال «أرينتش»: من غير الممكن ولا المناسب إجراء الانتخابات وأكثر من ١٥ مليون مواطن تركي متضررون من الزلزال، والبنية التحتية ومؤسسات الدولة لن تستطيع إجراءها بالشكل المطلوب بسبب الزلزال،

وقع الزلزال المدمر في وقت لم يكن الاقتصاد التركي قد تعافى تماماً من أزمته، وعلى مقربة من انتخابات رئاسية وبرلمانية مصيرية بذلت قبلها الحكومة الكثير من الأموال في إطار ما يسمى «اقتصاد الانتخابات» لمحاولة تخفيف الضغط الاقتصادي والمالي على المواطن في حياته اليومية، ولا سيما ما يتعلق بالحد الأدنى للأجور وغلاء الأسعار والقروض وما إلى ذلك.

بولند أرينتش

داود أغلو

علي باباجان

والحكومة ينبغي أن تركز على مساعدة هؤلاء وتضميد جراحهم لا طلب أصواتهم.

وقد جاء الرد الأول من «كليتشدار أوغلو» الذي رفض فكرة تأجيل الانتخابات قائلاً: «لا داعي لذلك، والمواطن من حقه أن يحاسِب المسؤولين عن مأساته في صندوق الانتخابات»، وتبعه في التصريحات الرافضة لتأجيل الانتخابات وتفنيد كلام «أرينتش» كل من «ميرال أكشنار»، و«أحمد داود أوغلو»، و«علي باباجان»، رؤساء أحزاب الجيد والمستقبل والديمقراطية والتقدم على التوالي.

عائق دستوري

ثمة عائق دستوري أمام تأجيل الانتخابات، وهو أن المادة (٧٨) من الدستور تحصر إمكانية تأجيل الانتخابات بحالة تعذر إجرائها بسبب الحرب، وعبر قرار من البرلمان؛ ما يعني استحالة تأجيلها بسبب الزلزال، لكن بعض المحسوبين على الحزب الحاكم والحكومة يراهنون على إمكانية حصول توافق بين التحالف الحاكم والمعارضة على تعديل المادة لتشمل كذلك الكوارث الطبيعية كالزلزال.

لكن العائق الأساسي أمام إمكانية التأجيل هو الحسابات الانتخابية؛ فالمعارضة تدرك أن إجراء الانتخابات قريباً قد يساهم في تحويل بعض الغضب الشعبي من تبعات الزلزال إلى تصويت عقابي للرئيس التركي وحزبه، بينما التأجيل يمكن أن يخفف من هذا؛ إذ ستكون الحكومة قطعت شوطاً مهماً في إجراءات الدعم وبدأت عملية إعادة الإعمار.

من جهة ثانية، فإن التأجيل طويلاً لا يخدم العدالة والتنمية كثيراً، إذ من شأنه أن يفاقم من الأوضاع الاقتصادية والمالية بسبب الكلفة الاقتصادية المتوقعة للزلزال، ولذلك فقد نسب للرئيس «أردوغان» أنه يعارض بشدة تأجيل الانتخابات بل يصر على تبكيرها للرابع عشر من مايو المقبل كما وعد قبل ذلك، ولعل من رسائل «أردوغان» من هذا الإصرار أنه غير قلق من الزلزال، ولا يحتاج التأجيل بالضرورة، وهي رسالة تشمل احتمال المناورة السياسية مع المعارضة بطبيعة الحال.

فرص «أردوغان»

أما من حيث تأثير الزلزال على فرص «أردوغان» في الانتخابات الرئاسية المقبلة، فمن البديهي أن كارثة بهذا الحجم تحصل في عهده ستضر بفرصه بنسبة أو بأخرى، وهذا ما تستشرفه المعارضة، إلا أنه من السابق لأوانه تقدير مدى التأثير الحقيقي للزلزال على نتائج الانتخابات؛ إذ سيعتمد ذلك بشكل كبير على تفاعل عدة عوامل؛ في مقدمتها مدى جهوزية المعارضة (إذ لا تبدو جاهزة)، وإجراءات الحكومة لدعم المتضررين، والإجراءات القضائية بحق المتسببين بالكارثة، ولا سيما الأبنية المخالفة للمعايير، وكذلك الأوضاع الاقتصادية.

وعليه، ستكون الأسابيع المقبلة ذات أهمية قصوى في مدى استكشاف التأثيرات المباشرة وغير المباشرة للزلزال على العملية الانتخابية، لكن من المسلَّم به أنه تحول للملف الأهم في البلاد، وكذلك على أجندة الحملات الانتخابية لجميع الأحزاب.■

سيناريوهات تأجيل الانتخابات تتأرجح بين العائق الدستوري والحسابات الحزبية للحكومة والمعارضة

رغم قوة دمار الزلزال وعد «أردوغان» بإعمار المحافظات المتضررة خلال عام واحد فقط

بعد الزلزال..
المعارضة التركية
تحاول الاصطياد في الماء العكر

في تنسيق آثم بين أعداء تركيا في الداخل والخارج، سارع رؤساء أحزاب المعارضة بعد وقوع الزلزال، وانهيار مئات الأبنية على من فيها من البشر، بتوجيه كل أسلحة الغدر والكذب في هجمات متتالية ومنسقة ومتزامنة على كل إجراء تتخذه الدولة لمواجهة آثار الزلزال؛ بهدف إثارة الجماهير وشحنها وإشعال حدة غضبها.

طيب أردوغان

جمـال خطـاب

بعد لحظات من وقوع الزلزال الأول في تركيا، أطلقت المعارضة حملة واسعة لتحريض الشعب التركي ضد الحكومة، تتهمها بالإهمال والتقصير؛ بهدف تحويل آلام المنكوبين إلى أصوات لصالحها في الانتخابات الرئاسية والبرلمانية القادمة، وفي الأيام الثلاثة الأولى، تم نشر نحو ٨٠ كذبة متعلقة بالزلزال والمنطقة المنكوبة والمتضررين من الكارثة، كما يقول الكاتب التركي إسماعيل ياشا، بالإضافة إلى التحريض ضد اللاجئين السوريين والأفغان.

وتناست المعارضة أنه لولا ما قام به حزب العدالة والتنمية من تطوير لمرافق الدولة، وتحسين الخدمات على الطرق، وإنشاء الجسور بين المحافظات، وزيادة عدد المحطات التي تقوم بتغذية المدن بالطاقة والكهرباء، والحرص على وجود مطار دولي في كل محافظة، لكانت الكارثة أكبر مما هي عليه الآن بكثير.

أكذوبة انهيار السدود

وفي أخسّ صورة من صور الشائعات، نشر موالون للمعارضة التركية أنباء كاذبة في مواقع التواصل الاجتماعي ادعوا فيها أن سدوداً على بعض الأنهار انهارت بسبب الزلزال، وأن المياه ستغرق مدينة هاتاي خلال دقائق، وأدى انتشار هذه الشائعة إلى هلع في المدينة، وتوقفت أعمال البحث والإنقاذ لبرهة، في وقت كانت فيه الحاجة ماسة لكل ثانية لإنقاذ أرواح العالقين تحت الركام.

وأكد وزير الزراعة التركي وحيد كيريشتي، فيما بعد، أن جميع السدود ومحطات الطاقة في البلاد في حالة جيدة، ولم تتأثر بالزلزال، وقال كيريشتي: إن فرقاً فنية تقوم بعمليات الفحص والمراقبة للسدود ومحطات توليد الطاقة للتأكد من سلامتها.

واستبعد خبراء الزلازل تأثر السدود التركية الواقعة على نهر الفرات، وأهمها سدا «أتاتورك» و«كابان»، بتلك الهزات الارتدادية الناجمة عن زلزالي قهرمان مرعش اللذين ضربا ١٠ ولايات كاملة شرق وجنوب شرقي تركيا.

وقد حاولت المعارضة التركية عبثاً الاستفادة من الكارثة، بشكل انتهازي واضح، رغم أن الزلزال أثبت أن المباني والبيوت التي أقامتها المعارضة، أثناء وجودها في الحكم، والتي أقامها مناصروها، مثل مقاول البناء محمد يشار جوشكون، هي التي انهارت وسببت جل الخسائر في الأرواح والممتلكات.

وقد هرعت الحكومة التركية ومنظمات المجتمع المدني بكل مؤسساتها وإمكاناتها إلى المنطقة المنكوبة بعد وقوع الزلزال الأول، إلا أن اتساع رقعة الزلزال وانهيار بعض الطرق المؤدية إلى المدن والقرى المنكوبة، بالإضافة إلى كثافة الثلوج وسوء الأحوال الجوية؛ جعل الوصول إلى كافة المنكوبين بعد وقوع الزلزال مباشرة أمراً مستحيلاً؛ ما دفع أنقرة إلى إعلان درجة الإنذار الرابعة لتطلب مساعدة دولية.

العلمانية تعانق العنصرية

ورغم أن حكومة العدالة والتنمية تحركت منذ اللحظة الأولى، على عكس ما وقع في الزلازل السابقة وخاصة زلزال عام ١٩٩٩م، فإن أوميت أوزداغ، زعيم حزب الظفر اليميني

خلال ٣ أيام فقط تم نشر ٨٠ كذبة حول الزلزال بالإضافة للتحريض ضد اللاجئين السوريين والأفغان

المعارضة أثارت الهلع وعطلت عمليات الإنقاذ بنشرها أنباء كاذبة عن انهيار سدود بعض الأنهار

المتطرف لم يتوقف عن إثارة الكراهية ضد السوريين واتهام الحكومة الحالية بالتقصير؛ لدرجة أن منقذاً تركياً هاجمه وجهاً لوجه قائلاً: نحن نعيش الرعب بسبب الكارثة، وأنت تسيّس كارثة الزلزال، وتلهث وراء الانتخابات والسوريين، مع أن دول العالم بما فيها اليونان هبت لمساعدتنا، لا نريد سماع أي شيء منك بعد الآن، سئمنا من سماع هذه الأكاذيب! وواصل: من فضلك، أبعد يديك عنا ودعنا وشأننا.

كمال قلجدار أوغلو، زعيم حزب الشعب الجمهوري المعارض، حمّل الرئيس رجب طيب أردوغان مسؤولية ما حدث، معلقاً بقوله: إذا كان هناك شخص مسؤول عن هذا بشكل رئيس، فهو أردوغان، مضيفاً: خلال ٢٠ عاماً، هذه الحكومة لم تُعدّ البلاد لزلزال، مشيراً إلى تقدمه بطلب رسمي لزيارة رئاسة إدارة الكوارث والطوارئ التركية، لكنه لم يتلق رداً، على حد قوله.

لم يتأخر رد أردوغان، فقد قالت مصادر إعلامية تركية: إنه (أردوغان) امتنع عن مصافحة قلجدار أوغلو، ورئيس بلدية إسطنبول إمام أوغلو، خلال مشاركته في جنازة بايكال التي عقدت في الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا، وحضر الجنازة نائب الرئيس فؤاد أقطاي، ورئيس البرلمان التركي مصطفى شنطوب، ونائب رئيس حزب العدالة والتنمية نعمان كرتولموش.

وقبل وقوع الزلزال بأيام، وقعت حادثة غريبة؛ حيث أعلنت ٦ دول على الأقل، من بينها فرنسا وبريطانيا وألمانيا وهولندا، وقف خدمات مكاتبها القنصلية في إسطنبول مؤقتاً، وقامت عدة سفارات غربية بدعوة رعاياها في تركيا إلى «اليقظة» في مواجهة مخاطر هجمات إرهابية، وأوصت الولايات المتحدة وفرنسا خصوصاً بتجنب مناطق سياحية معينة في وسط إسطنبول، مثل ميدان تقسيم ومحيط كنائس مسيحية ويهودية؛ وهذا ما حدا ببعض رواد مواقع التواصل إلى ادعاء أن الزلزال الذي تعرضت له تركيا وسورية زلزال مصنوع من قبل أمريكا بهدف إسقاط أردوغان في الانتخابات الرئاسية القادمة!

لكن وزير الداخلية التركي سليمان صويلو اتهم تلك الدول بشن حرب نفسية على تركيا قد تضر بقطاعها السياحي، واتهمها بالسعي لزعزعة استقرارها، ووصف المتحدث باسم حزب العدالة والتنمية الحاكم التحذيرات الغربية بأنها «غير مسؤولة».

وهاجم الوزير السفير الأمريكي قائلاً: كل سفير أمريكي يسأل: كيف يمكنني إيذاء تركيا؟ لقد كانت هذه واحدة من أكبر مصائب تركيا لسنوات عديدة، إنه يجمع السفراء الآخرين ويحاول تقديم المشورة لهم، يفعلون الشيء نفسه في أوروبا، السفارة الأمريكية تدير أوروبا.

المباني التي أقامتها المعارضة أثناء وجودها بالحكم هي التي انهارت وسببت جل الخسائر

قبل وقوع الزلزال بأيام أعلنت ٦ دول غربية وقف خدماتها القنصلية بإسطنبول!

وصرح رئيس دائرة الاتصال بالرئاسة التركية فخر الدين ألطون أن الشائعات والمعلومات المضللة على منصات مواقع التواصل تسببت في إلحاق أضرار جسيمة بعمليات إنقاذ المتضررين من الزلزال المدمر.

وأردف ألطون، بسلسلة تغريدات على حسابه في «تويتر»: في هذا الزلزال الأخير، تسببت المعلومات غير المؤكدة والكاذبة المتداولة على منصات التواصل بإلحاق أضرار جسيمة بأنشطة الإنقاذ.

وقال المسؤول التركي: رأينا بوضوح شديد كيف تعمل خوارزميات منصات التواصل على مضاعفة المعلومات المضللة والدفع بالمعلومات الصحيحة إلى الوراء، وأضاف: بالطبع اتخذ القضاء، أيضاً، إجراءات ضد مثل هذه المعلومات المضللة القاتلة التي أعاقت عمليات البحث والإنقاذ.■

قلجدار أوغلو

إمام أوغلو

أوميت اوزداغ

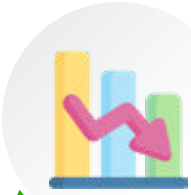

تداعيات الزلزال على الاقتصاد التركي ومآلاته

قبل أن ينشق فجر السادس من فبراير الماضي، ضرب زلزال مزدوج جنوب تركيا وشمال سورية، بلغت شدة الأول ٧.٧ درجات، والثاني ٧.٦ درجات على مقياس ريختر، تبعهما مئات الهزات الارتدادية العنيفة، في ظروف مناخية اتسمت بالبرد القارس، وكان مركز الزلزال في مدينة قهرمان مرعش التركية وامتد إلى ١٠ ولايات تركية أخرى، و٦ محافظات سورية، وقد آثار هذا الزلزال المدمر تساؤلات عن مستقبل الاقتصاد التركي من خلال تداعياته ومآلاته.

د. أشـــرف دوابـــــه

أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

وصل عدد ضحايا الزلزال الذي ضرب تركيا والشمال السوري إلى أكثر من ٤٣ ألف قتيل، وأكثر من ١٠٠ ألف جريح، وتم إجلاء أكثر من ٢١٨ ألف شخص، ونتج عنه عدم صلاحية أكثر من ٥٠ ألف منزل للسكنى، وتوقفت الطرق السريعة الواصلة بين الولايات المنكوبة لتصدعها، كما خرجت ٤ مطارات من أصل ٧ عن الخدمة، أهمها مطار أنطاكيا الدولي، الذي يعد إحدى نوافذ التصدير الرئيسة لتركيا، وتضررت أنابيب النفط والغاز الطبيعي، فضلاً عن تضرر إمدادات الوقود ونقل الكهرباء، وتوقف ميناء إسكندرون بولاية هاتاي عن الخدمة، بعد اندلاع سلسلة حرائق به، وقدرت خسائر إغلاقه بمبلغ ٦٧٩ مليون دولار، وهبط مؤشر بورصة إسطنبول بنسبة ١٦% خلال ٣ أيام من وقوع الزلزال، كما خسرت الليرة التركية نسبة ١.٥% من قيمتها أمام الدولار الأمريكي.

وبالنظر إلى المكانة الاقتصادية للولايات العشر التي ضربها الزلزال، نجد أن عدد سكانها يبلغ ١٣.٥ مليون شخص، وتبلغ حصتها من الناتج المحلي الإجمالي نحو ٩.٣%؛ أي ما يعادل ٧٦ مليار دولار أمريكي، حسب أرقام مؤسسة الإحصاءات التركية الرسمية، وتسهم هذه الولايات بـ١٤% في الناتج الزراعي، و١١.٢% في الناتج الصناعي، و١% في قطاع السياحة، كما أنها تمثل ٨.٥% من إجمالي الصادرات، و٦.٧% من إجمالي الواردات، وتمثل ولاية غازي عنتاب وحدها ٤.٤% من صادرات تركيا، وولاية هاتاي ١.٦%، وولاية أضنة ١.٢%، حيث يوجد بهذه الولايات ١٥١ شركة من بين أكبر ٥٠٠ شركة صناعية في تركيا، وقدرت مؤسسة التصنيف الائتماني الدولية (فيتش) الخسائر الاقتصادية للزلزال بما بين ٢ و٤ مليارات دولار، كما قدر بنك «جي بي مورجان» التكلفة المادية لخسائر الزلزال بمبلغ ٢٥ مليار دولار.

المآلات

مما لا شك فيه أن للزلزال تأثيراً مباشراً على الاقتصاد التركي الذي يعاني خلال الفترة الماضية من تضخم وصل لنسبة ٥٧.٧%، ودين حكومي بنسبة ٤٢% من الناتج المحلي الإجمالي، وعجز للموازنة بنسبة ٢.٧%، كما أن العجز التجاري للبلاد زاد ١٣٨.٤% في عام ٢٠٢٢م عن العام السابق إلى ١١٠.١٩ مليارات دولار، بعد أن قفزت الواردات ٣٤.٣% إلى ٣٦٤.٤ مليار دولار، مقابل زيادة في الصادرات بواقع ١٢.٩% إلى

الاقتصاد التركي بنيانه سليم وله قدرة على مواجهة الصدمات مع نمو الناتج المحلي

توجُّه الحكومة لتعمير المناطق المنكوبة سيحقق انتعاشاً للقطاع العقاري

٢٥٤.٢ مليار دولار، واتسع العجز التجاري في ديسمبر الماضي بـ٥٢% مقارنة بالعام السابق إلى ١٠.٣٨١ مليارات دولار، مع زيادة الصادرات ٣.١% إلى ٢٢.٩٢ مليار دولار، وارتفاع الواردات ١٤.٦% إلى ٣٣.٣٠ مليار دولار.

ومع ذلك، فإن الاقتصاد التركي اقتصاد ذو بنيان سليم، فهو اقتصاد حقيقي وليس اقتصاداً ورقياً أو وهمياً، ومن ثم له قدرة على مواجهة الصدمات، لا سيما في ظل نمو الناتج المحلي بنسبة ١١.٤% في العام ٢٠٢١م، و٧.٦%، ٣.٩% في الربعين الثاني والثالث من العام ٢٠٢٢م على التوالي، وبلوغ صادرات تركيا عام ٢٠٢٢م مبلغ ٢٥٤.٢ مليار دولار؛ لذا، فإنه رغم فداحة الزلزال

حصة الولايات المتضررة من الزلزال تبلغ نحو ٩.٣% من الناتج المحلي

تقديرات تشير إلى أن معدل النمو قد ينخفض بنسبة لا تتجاوز ١% ثم يعاود الارتفاع

وصدمته الفجائية وإصابته نحو ١٠ ولايات دفعة واحدة، فإن الحكومة استوعبت الصدمة، وبعدها تمكنت من إصلاح كافة الطرق الموصلة للولايات المنكوبة، وتم تشغيل المطارات، وحتى البورصة بعد انخفاضها بنسبة ١٦% في الأيام الثلاثة التالية للزلزال، وبعد إيقاف التداول بها ٥ أيام عاودت الافتتاح يوم الأربعاء ١٥ فبراير على ارتفاع بنسبة ٩%.

كما أن الليرة التركية عاودت الثبات النسبي، وأطفئ حريق ميناء إسكندرون، وبدأ العمل به جزئياً، فضلاً عن تفعيل العمل في ميناء مرسين لسد النقص في ميناء إسكندرون، كما أن المنشآت الصناعية، لا سيما في غازي عنتاب، لم تتأثر كثيراً بالزلزال وتبعاته.

تعويض المتضررين

ومن جانب آخر، وعد الرئيس التركي «رجب طيب أردوغان» بإعادة بناء المساكن المهدَّمة خلال سنة، ووضع حزماً مالية لتعويض المتضررين؛ ممثلة في ١٥ ألف ليرة للأسر مصاريف النقل إلى منزل جديد، و٢ - ٥ آلاف ليرة بدل إيجار حتى استلام منازلهم الجديدة بعد عام، و١٠ آلاف ليرة لكل أسرة متضررة، و١٠٠ ألف ليرة مساعدة لأقارب الضحايا، فضلاً عن مصاريف وقود لمن غادروا مدنهم المتضررة، وتقديم دعم إضافي للاحتياجات الطارئة، وضخ فوري لحزمة تضامن بقيمة ٥٠ مليار ليرة من القطاع المصرفي من قبل وزارة الخزانة والمالية التركية، وكذلك تقديم قروض وموارد إضافية مضمونة للأعمال والشركات، وحزم لدعم ٢٢ مليون مزارع، وحوافز يستفيد منها ٦٣٨ ألف دافع للضرائب.

كما أن تبرعات البث المشترك للقنوات الفضائية التركية في حملة «تركيا قلب واحد»، يوم ١٥ فبراير، وصلت في ٧ ساعات فقط مبلغ ٦.١ مليارات دولار، فضلاً عن تبرعات العديد من دول العالم وفي مقدمتها الدول العربية، وكذلك سعي الاتحاد الأوروبي لإقامة مؤتمر للمانحين بما يحول دون هجرة المزيد من السوريين.. كل هذا سوف يخفف حتماً من صدمات الأزمة.

كما أن توجه الحكومة لتعمير المناطق المنكوبة وإنفاقها في هذا المجال سيحقق انتعاشاً للقطاع العقاري الذي يرتبط بصورة متشعبة مع القطاعات الاقتصادية الأخرى، وهو ما يسهم في تحريك الطلب الفعال وينعش الاقتصاد، ويحول بين كبوته، مع مراعاة أن تتدخل الحكومة لتخفيض الضرائب على المدخلات المستخدمة في التعمير حتى لا تزيد الفقاعة العقارية المشتعلة أصلاً اشتعالاً.

إن هذه الخطوات الإيجابية تمثل خطوة في تخفيف آثار الزلزال وعلاج تبعاته، ومع ذلك فإن أقصى التقديرات تشير إلى أن معدل النمو لو قدر له أن ينخفض هذا العام فقد ينخفض بنسبة لا تتجاوز ١%، وبعد هذه الفترة القصيرة سوف يخرج الاقتصاد التركي من هذه الكبوة ويتجاوزها بما يملكه من مواطن قوة.■

مقاصد وحدة الأمة الإسلامية في ضوء النوازل والحوادث

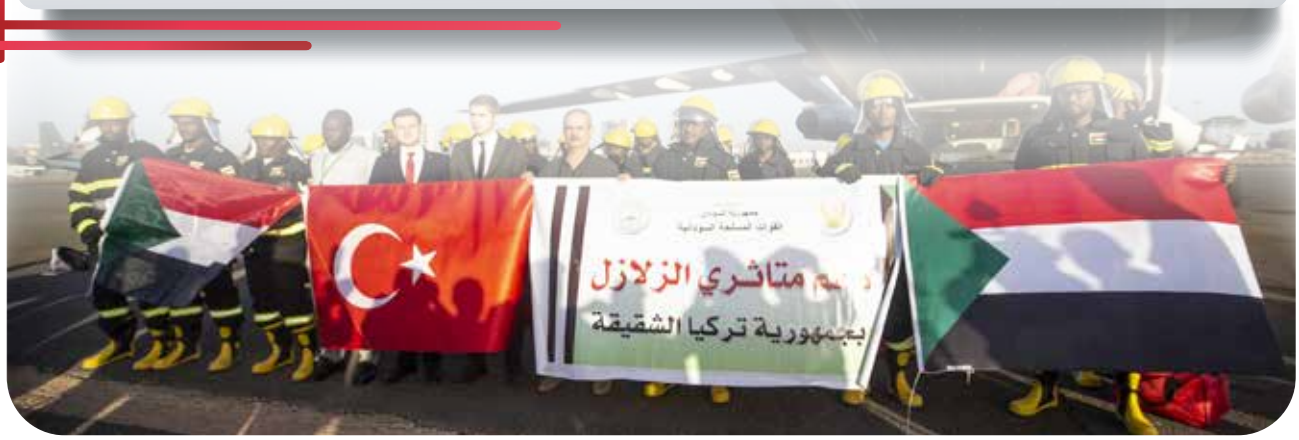

د. حسان عبداللَّه حسان
أستاذ أصول التربية المساعد بجامعة دمياط – مصر

إن للحوادث عبراً وحكماً، والمسلمون ملتزمون بالاعتبار من الحوادث والنوازل؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) (الحشر: ٢)، وما نزل بإخواننا في سورية وتركيا جدير بهذا الاعتبار، والاعتبار الذي نقدمه هنا هو إعادة بناء مقاصد وحدة الأمة الإسلامية في عقل المسلم المعاصر والأجيال الناشئة التي نشأت في ظل تقطع أوصال الأمة، وتسويرها بالحدود المصطنعة وضعياً.

ربط القرآن الكريم بين وحدة الأمة وعبادة الله وتوحيده والالتزام بأحكامه، ووصف ذلك تارة بالعبادة: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢)، وتارة بالتقوى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون: ٥٢)، وأعقب الله تعالى الآيتين بالتحذير من انفكاك وحدة الأمة والتوحيد بين أجناسها وأعراقها، كما فعلت الأمم السابقة الذين تقطعوا في الأرض وتنابزوا وتحاربوا ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٣)، ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون: ٥٣).

مفهوم «الأمة» القرآني جاء أكثر تعبيراً عن التجمع الإنساني الفريد للمسلمين

جاء هذا المقصد متعلقاً بالتوحيد بما يمنحه المكانة العليا في العبادات الإسلامية؛ ففرائض العبادات التي ذكرت في القرآن جاءت مبررة بالمصالح الاجتماعية التي تعود بالنفع على الفرد والمجتمع والناس جميعاً، أما هذه القيمة فجاءت مرتبطة بالقيمة العليا في حياة المسلم وهي قيمة التوحيد، واعتبرها القرآن معبرة عن روح التوحيد والعبادة والتقوى ومجسدة له، وأن غياب هذه الوحدة بين الأمة، بالتقطع والتدابر، إنما هو نقض للتوحيد، كما نقضته الأمم السابقة، وتخلت عنه، فأورثه الله تعالى لهذه الأمة للمحافظة عليه والعمل بمتطلباته.

أمة الطريق والقصد

لم تقم الأمة الإسلامية على رباط طبقي أو جنسي أو عرقي أو لغوي أو جغرافي أو سياسي أو اقتصادي أو غير ذلك من الروابط الوضعية، التي يمكن أن تنقض لأي عامل خارجي أو داخلي، وإنما قامت وحدة الأمة على رباط ثابت موضوعي لا يتغير، هو رابط الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠)، هذا الرباط الذي تنصهر فيه كافة العوامل الوضعية (الجنس والطبقة واللغة..) انصهاراً يُخرج لنا شكلاً آخر من أشكال التجمعات الإنسانية، يعرف الجميع بعضهم بعضاً، يؤدون الشعائر ذاتها، ويعتقدون الأركان نفسها، وكذلك المناسك، ويتخلقون بذات الأخلاق، ويمتثلون بنفس الأحكام، ويقرؤون الكتاب ذاته، ويتوجهون للقبلة الواحدة.

لهذا، جاء مفهوم «الأمة» القرآني أكثر

تعبيراً وفرادة عن هذا التجمع الإنساني الفريد، ولا يوجد بين الألفاظ والكلمات المستخدمة لوصف التجمعات البشرية ما يمكنه أن يعبر عن هذا التجمع بتلك الخصائص أكثر من تعبير لفظة «أمة»، إن ألفاظ: قبيلة، وقوم، وشعب، وطبقة، ومجتمع، وطائفة، وجمهور، جميعها لا يمكن أن تعبر عن الجوهر الذي تعبر عنه كلمة «أمة».

إن الإسلام انتخب كلمة «الأمة» بدل هذه المفاهيم لتسمية الجماعة الإنسانية التي يشكلها، ونلاحظ هنا أيضاً التوجه الإسلامي الخاص والمدهش؛ وهو استناد الإسلام إلى «الحركة» كأصل، ولكنها الحركة التي تعتمد جهة مشخصة وثابتة، فجمع الإسلام بين الثبوت الدائم والحركة المستمرة، وهذا الجمع تقوم على أساسه الرؤية الكونية الإسلامية بكاملها، كما يتضح هذا الأصل في الطواف حول الكعبة أيضاً، الطواف: حركة مستمرة ودون وقفة أو انحراف أو تراجع، لكنها حول محور ثابت[1].

من هنا، فكل الاصطلاحات التي استخدمت في الثقافة الإسلامية لوسم الدين -في ضوء مختلف الأفهام- جاءت بمعنى «الطريق»، وهذا اللون من الرؤية نعثر عليه في غالب الاصطلاحات الرئيسة للإسلام: مذهب، مسلك، شريعة، سبيل، صراط.. كلها بمعنى «الطريق»، الحج «قصد محل».. كلمة «أمة» مأخوذة أيضاً من «أمَّ»؛ بمعنى قصد وعزم، وهذا المعنى يتركب من ثلاثة معانٍ: حركة، وهدف، وقرار واعٍ؛ وحيث إن «أم» تنطوي في أصلها على مفهوم التقدم، أيضاً يضحى هذا المعنى مركباً من أربعة معانٍ: اختيار، حركة، تقدم، هدف.

إن الحركة في الأمة أيضاً باتجاه القبلة المشتركة أساس الفكر، وفي ضوء تحليل كلمة الأمة نجده يتضمن المفاهيم الآتية: الاشتراك في الهدف والقبلة، والمسير باتجاه القبلة الهدف، ووجوب القيادة والهداية المشتركة.

العضوية الفاعلة

المقصد الثالث لوحدة الأمة يتعلق بواجبات العضوية في هذه الأمة، التي وصفها القرآن بأنها (صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ) (الصف: ٤)، ووصفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنها تشبه الجسد في تواصلها واتصالها ببعضها بعضاً، وأنه إذا اشتكى منها عضو تداعي له سائر الأعضاء بالعمل على تخفيف الشكوى ومعالجتها، لا بالتجاهل أو الانصراف أو التخلي.

إن الأمة وحدة عضوية، يقوم كل عضو فيها بواجباته تجاه الآخر، كما تؤدي أعضاء الجسد أدوارها تجاه بعضها بعضاً؛ الأمر الذي يحافظ على سلامة الجسد وصحته وحيويته، فقيام العضو بوظيفته يخدم كل جزء آخر فيه، يخدمه في كليته، وفي المقابل؛ فإن عمل الجسد كله يصب في صالح كل جزء فيه، ومن بين ما وصف الله تعالى به المتقين المفلحين أنهم: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات: ١٩)، ووصف أصحاب النبي بأنهم: ﴿الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾ (الفتح: ٢٩)، وأصاب النبي صلى الله عليه وسلم كبد الحقيقة، بالجسد الواحد «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه البخاري، ٦٠١١).

يقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وتبين هذه الآية الكريمة أن المسلمين مأمورون بأن يشكلوا من أنفسهم أمة، أي بنية اجتماعية منظمة على نحو خاص، وتضمن هذا النص القرآني علة الأمر بتشكل تلك الأمة، وهي: الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بيد أن هذه العلة هي السبب أو الهدف النهائي المفترض أن تفي الأمة به، وثمة سبب وسائلي غير نهائي بالتالي لوجود الأمة؛ وهو حقيقة أن وجودها هو الذي يجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمراً ممكناً، فالأمة هي مصدر حقوق المسلم وواجباته، وهي البنية التي يمكن في سياقها ممارسة تلك الحقوق والواجبات[2].

في ختام هذه المقالة الموجزة، يُلح هنا سؤال مركب يريد إجابة جماعية إسلامية له: كيف نعيد روح الأمة، ونجددها في نفوس النشء والأجيال القادمة، وفي واقع المسلمين؟ وهل ننتظر النوازل والحوادث المفجعة لنتذكر وحدة الأمة؟ وهل من الممكن إعادة بناء مقاصد هذا المفهوم في الذهن الإسلامي والواقع المادي والعملي؟ وكيف السبيل إلى ذلك في ضوء جغرافيا العولمة التي ما تزال تقسم كل يوم وتقطع الأوصال بين الأمة ومركزها؟■

هل ننتظر النوازل المفجعة لنتذكر وحدة الأمة في ظل العولمة التي تقطع أوصالها؟

الهامشان

(١) انظر: حسان عبدالله حسان: منظومة المفاهيم عند علي شريعتي، ص٨٧.

(٢) إسماعيل الفاروقي: التوحيد ومضامينه في الفكر والحياة، ترجمة: السيد عمر، ص ٢٥٠.

هل يوحِّد الزلزال أمتنا؟!

د. سليمان صالح
أستاذ الإعلام - جامعة القاهرة

لقد واجه المؤمنون بعد غزوة «أحد» موقفاً شعروا فيه بالحزن والأسى لفراق الشهداء، وروى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لما أصيب إخوانكم بـ«أُحد»؛ جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم؛ قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب؛ فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم؛ فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩)».

يقول سيد قطب: إن الشهداء لم ينقطعوا عن حياة الجماعة المسلمة، ويربط القرآن بين حياة الشهداء في معركة «أُحد»، والأحداث التي تلت استشهادهم، ثم ينتقل إلى تصوير موقف الجماعة المؤمنة التي استجابت لله والرسول بعد كل ما أصابها من القرح، وخرجت تتعقب قريشاً بعد ذهابها، ولم تبال تخويف الناس بجموع قريش، متوكلة على الله وحده، محققة بهذا الموقف معنى الإيمان وحقيقته.

ونحن نعيش حزننا النبيل على الآلاف من شهدائنا، يمكن أن نطرح أسئلة جديدة، ونحفز عقولنا لتقديم إجابات مبتكرة.. ومن أهم تلك الأسئلة: هل يمكن أن نبني مستقبلنا على ضوء دماء شهدائنا؟ لكن هل يمكن أن نفكر في المستقبل وقلوبنا تنفطر حزناً وألماً؟!

إن الأمة التي تقدم الشهداء تحقق الانتصارات، وتبني الحضارة.. هذا أهم دروس التاريخ الإسلامي.

في ضوء ذلك، يصبح السؤال مشروعاً: كيف نبني المستقبل على ضوء دماء شهدائنا؟!

نحن أمة واحدة

من أهم الأسس التي تقوم عليها الإجابة: أن الأمة كلها تشعر بالحزن بسبب الكارثة التي أصابت إخواننا في تركيا وسورية.. هكذا وحدنا الحزن، فشعرت الأمة أنها تعيش بقدر الله، وأنها تعبد الله الواحد الأحد، وكل العباد ضعفاء أمام قوة الله سبحانه.

لذلك، يجب أن نعيد تحديد أهداف حياتنا، فندرك أن أهم ما يميز الأمة الإسلامية أنها تعبد الله الواحد الأحد، فعبادة الله هي الشرف والخير ومصدر القوة والنجاة والفوز في الدنيا والآخرة.. فهل يمكن أن يكون هذا هو الأساس الذي ننطلق منه لبناء مستقبلنا؟! فنوجه بوصلتنا نحو الغاية الحقيقية التي تستحق أن نعيش من أجلها؛ وهي إرضاء الله تعالى.

ونحن أمة واحدة تشعر بالألم والحزن في هذه المأساة التي جعلتنا نتذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص»، فإن كانت المباني المادية انهارت على أجساد أحبابنا في تركيا وسورية، فإن بناء الحب يرتفع في قلوبنا، فتصبح قلوب المؤمنين بنياناً

مرصوصاً تشكل قوة للأمة، وهي تتقدم نحو مرحلة جديدة من التاريخ.

هل يمكن أن تدرك وسائل الإعلام أهمية هذه الفرصة فتعيد بناء علاقتها مع الجمهور، والبرهنة على أنها يمكن أن تشكل مصدر قوة للأمة عندما تدعو للوحدة، وإغاثة إخواننا في تركيا وسورية.

هكذا يمكن أن نربط بوعي بين وحدة الأمة، والقوة الإعلامية، عندما نجعل كل فرد يشعر بالحب والمشاركة الوجدانية والتعاطف والرحمة لإخواننا، وهذا يمكن أن ينقلنا إلى مرحلة الوعي بأهمية الوحدة في بناء القوة.

في ضوء دماء شهدائنا، يمكن أن تقوم وسائل إعلامنا بتوعية الأمة بهويتها؛ فنحن جميعاً مسلمون نعبد إلهاً واحداً، ونحمل رسالة الله الخاتمة للبشرية، وأن وظيفتنا الأولى هي أن نعبد الله، وهذه الوظيفة تضيء لنا الطريق للقيام بوظيفتنا الثانية، وهي إعمار الأرض.

بذلك يمكن أن نفهم معنى وعد الرئيس «رجب طيب أردوغان» بإعادة بناء كل ما تهدم من مبانٍ، وإعطاء كل من فقد مسكنه بيتاً أفضل.

نستطيع بناء الحضارة

وعد الرئيس «أردوغان» يوضح أننا نستطيع أن نقوم بوظيفتنا في إعمار الأرض عبادة لله سبحانه وتعالى، ووفاء لدماء شهدائنا، لكي يعيش كل مسلم عزيزاً في بيته على أرض وطنه، وأن الدولة يمكن أن تكفله وتحميه في مواجهة الكوارث، فهل يمكن أن تقوم وسائل الإعلام بوظيفتها في بناء وعي الأمة وقوتها لإعادة بناء الحضارة الإسلامية.

إن الوعي بالوظيفة الحضارية يجعل الأمة تواجه المأساة التي تعرضت لها بإصرار على بناء مستقبل أفضل لكل مسلم، ونحن نعيد بناء المدن التي دمرها الزلزال، يجب أن تقوم وسائل الإعلام بدعوة المسلمين للمساهمة في نجدة إخواننا ومواساتهم وتعمير منازلهم، فهذا يحول الوحدة الإسلامية إلى حقيقة يدركها العالم كله.

في ضوء ذلك، يمكن أن نطلق لعقولنا العنان، ونحفزها للتخطيط والتفكير والابتكار، واختراع وسائل جديدة للحماية من الزلازل والبراكين والأعاصير.. ووسائل الإعلام يمكن أن تقوم بدور مهم في ذلك عندما تعيد الوعي للمسلمين بأن أهم ما تتميز به الحضارة الإسلامية أنها حضارة تعبد الله وتوحده، فحول المساجد يتم بناء المنازل والمدارس والجامعات.

لذلك، نحن نبني حضارتنا بعقولنا وقلوبنا، بسواعدنا ومشاعرنا، بعلمنا وإيماننا، نبني لنحيا في سبيل الله، ويوحدنا الحب في الله لكل إخواننا، فنتألم لمصابهم، ونحزن لمأساتهم.. لقد علمنا الزلزال أننا أمة تتجلى أصالتها عندما نتعرض للمأساة، فيتضح للعالم أننا بنيان مرصوص من قلوب مؤمنة.. وهذا البنيان لا يمكن أن ينهار لأن ما يمسكه هو الإيمان بالله.. فهل يمكن أن تقوم وسائل الإعلام بحملة لبناء وعي المسلمين بأهم مصادر قوتهم، وأن يتحول هذا الوعي إلى عمل إيجابي لبناء المستقبل.. إنها حملة «بنيان مرصوص من قلوب مؤمنة».

لذلك، يجب أن نفكر في بناء مستقبلنا على أساس الإيمان بالله ورسوله وكتابه الكريم، فهو أهم مصادر قوتنا.■

إن كانت المباني انهارت على أجساد أحبابنا بتركيا وسورية فبناء الحب يرتفع في قلوبنا

على وسائل الإعلام إعادة بناء علاقتها بالجمهور لتشكل قوة للأمة وحدة وإغاثة

علينا تحفيز عقولنا لاختراع وسائل جديدة للحماية من الزلازل والبراكين والأعاصير

الزلازل.. وفقه السُّنن

ناصر حمدادوش
برلماني جزائري سابق

هناك كثافة في التعبير القرآني عن مسألة محورية ومركزية، وهي من أنواع دقيقة من الفقه، وهي «فقه السنن»، الذي يجب علينا العلم بها والاهتداء إليها، وهي السنن الثابتة المطردة والممتدة في الكون، والحاكمة لحركة الحياة والأحياء، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ (فاطر: ٤٣)، وهي بحاجة إلى قراءة معرفية ومنهجية.

إن هذا التوزيع اللغوي القرآني المتنوع عن السُّنن الإلهية من الصياغات الدلالية العميقة في بناء المنظومة المعرفية لهذا العلم، بما يعيد تشكيل العقل العلمي السُّنني، وينقله من الطبيعة البدائية الاختزالية إلى الرؤية الكونية الكلية والشاملة، وهي طفرة علمية خارقة في زمن البداوة لدى العرب أثناء نزول الوحي، وقد ارتقى هذا العلم بأنْ تلبَّس بالمضامين العَقَدية المركَّزة، عندما نُسبت هذه السُّنن إلى الله تعالى، وما تحمله من الدلالات العميقة على مصدريتها وحجِّيتها، مثل قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ (الأحزاب: ٦٢).

ونحن بحاجة إلى إحياء «فقه السُّنن الإلهية» حتى نعود إلى دائرة الفعل الإرادي والشهود الحضاري، والخروج من حالة الركود الذي تعاني منه الأمة في هذا السياق التاريخي البائس، رغم عمق الخطاب السُّنَني القرآني المكثف؛ تفصيلاً وتأصيلاً، ورغم الحضور الإلهي المهيمن في الكون؛ شُهوداً وفاعلية وتأثيراً.

وإذا كان المنهج القياسي قد طغى على التراث الإسلامي في مجال التشريع واستنباط الأحكام الفقهية الجزئية من أدلتها التفصيلية، بإعمال العقل في مساحة النص في الآيات المسطورة، فإن التحفيز القرآني للعقل المسلم يدفعه -كذلك- إلى اعتماد المنهج الاستقرائي في اكتشاف السُّنن الإلهية، والتوصل إلى الحقيقة العلمية، عبر إعمال العقل في مساحة الكون في الآيات المنظورة، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣)، للوصول إلى فقه الحياة وفقه الحضارة، كما وصلنا إلى فقه الأحكام.

فما علاقة هذه الظواهر الكونية، مثل الزلازل، بهذا الفقه الدقيق في القرآن الكريم؟ وكيف يمكن قراءتها قراءة سُننية؟ وهل الزلازل ظاهرة طبيعية أم رسالة ربانية؟ وما علاقة البعد الإيماني بما

هذه الحوادث تذهل العقل وتثبت عجزه وتفرض عليه التواضع أمام قدرة الله تعالى

نحن بحاجة إلى إحياء فقه السُّنن الإلهية حتى نعود إلى دائرة الفعل الإرادي والشهود الحضاري

الكون ليس وحشاً معادياً للإنسان بل صديق محبوب له وبينهما انسجام كبير

يحدث من مصائب؟ فهل هي غضب إلهي، أم ابتلاء رباني؟

يعتبر الكون صديقاً للإنسان، وهو كائن محبوب له، وليس وحشاً معادياً له، على اعتبار أنه من خلق الله تعالى، وهناك انسجام بديع بينهما، إذ كلاهما من صنع الله الذي أتقن كل شيء، وأنه لن يخرج هذا التصور العقدي الإسلامي تجاهه إلا أن يكون عابداً لله، مقراً بربوبيته، شاهداً على وحدانيته، خاشعاً لعظمته، كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤)، وهو ما يفرض علينا النظر إلى هذه الظواهر الكونية نظرة علمية وسُننية، وليس نظرة سطحية عابرة.

وبين الذهول عن التفسير الصحيح لهذه الحوادث الطبيعية والتأويل الأيديولوجي لها على غير المقصد الإلهي منها، قد تضيع الحقيقة عن الإنسان في خضم هذه الأهوال المتسارعة.

إن الزلازل لا تخرج عن كونها قدراً من أقدار الله تعالى، فلا تقع إلا بقدر، ولا تحدث إلا لحكم، ومنها:

١- **أنَّ السُّنن الكونية** مظهر من المظاهر الصارخة لطلاقة القدرة الإلهية، وأن الوقوف على هذا المعنى يفتح الآفاق في المعرفة الصحيحة لما يحدث، ففي الوقت الذي غطت فيه الأصوات المرتفعة للمدرسة الحداثية المعاصرة بتلك المقولات الخطيرة، مثل: مقولات «سبينوزا» (١٦٣٢ - ١٧٧٧م) الذي اشتهر بنقد الكتب المقدسة، الذي يقول: «إن الكتب المقدسة ليست مصدراً للمعرفة النظرية»، ومقولة الفيلسوف الألماني «نيتشه» (١٨٤٤ - ١٩٠٠م) بـ«موت الإله»، وتأليه الإنسان وإحلاله محلّ الله، وإحلال القارئ محلّ الوحي، ونفي المصدرية الإلهية له والقداسة عنه، والقطيعة المعرفية معه، وتجاوز قيم صاحب النص الديني ومقصده منه، وإحالته على التاريخية والنسبية والظرفية، وإطلاق سلطة العقل على النقل، تأتي هذه الحوادث التي تذهل العقل الإنساني وتثبت عجزه أمامها، فتفرض عليه التواضع أمام عظمة الله وقوته وحكمته، ليستعيد إنسانيته ويعترف بضعفه، وأن هناك حدوداً لعقله، تثبت محدوديته أمام هذه الآفاق التي لا يستطيع أن يصل إليها بقدرته الذاتية، فرغم ما وصل إليه من علم وحضارة، فإنه لا يزال جاهلاً بما سيقع له.

٢- **مع اتفاق العلماء** على أنَّ هذه النوائب قد تكون عقوبة إلهية تستهدف إهلاك الطاغين، وتأديب العاصين، وتنبيه الغافلين، واختبار المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٠)، إلا أنه لا يمكن التألي على الله تعالى، والجزم بمراده من الآيات الكونية، ناهيك عن محاولات اختزالها في مكان بعينه أو إنسان بذاته، وهي في كل الحالات لا تخلو من حكمة وفائدة، وخاصة بالنسبة للمؤمنين، فهي بوابة من بوابات الشهادة، فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، وهي منزلة مَن

منازل الأجر، فقد روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ».

ومهما يكن من التفسير لذلك، فإن السُّنن الإلهية لا تحابي المؤمن لإيمانه، ولا تجامل الكافر لكفره، ولا تفرِّق بين المطيع على طاعته، ولا بين العاصي على عصيانه، فالكل خاضع لها، ولذلك فإن الرصيد المعرفي الثري لعلم السُّنن في القرآن الكريم يوجب علينا التعاطي مع هذا الفقه؛ اكتشافاً وفهماً وتوظيفاً، حتى لا نسقط في أزمة معرفية وخلل منهجي في النهوض الحضاري، وهو ما يتطلب فقهاً استدراكياً واعياً، يجمع بين العقل الفقهي المجرد والعقل المقاصدي المجرِّب، والانتقال من العلم بالسُّنن إلى العمل بها، ولا نكون ممن ذمَّهم القرآن الكريم، إذ كلما عَرَض عليهم سُنَّة أعْرَضُوا عنها، ومروا عليها كأنْ لم يتفكروا فيها، كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (يوسف: ١٠٥)، وذلك لعدم الاعتبار بالعقل، المستند إلى العالم الحسي المشاهد لمعرفة مدى فاعلية هذه السُّنن.■

الزلازل.. بين الحقائق العلمية والخرافات البشرية

د. محمد الطوالبة
باحث جيولوجي في علم الزلازل

الزلزال أو الهزة الأرضية ظاهرة طبيعية، وهو اهتزاز أو سلسلة من الاهتزازات الارتجاجية المتتالية لسطح الأرض تحدث في وقت لا يتعدى ثواني معدودة، التي تنتج عن حركة الصفائح الصخرية في القشرة الأرضية، ويسمى مركز الزلزال (البؤرة)، يتبع ذلك بارتدادات تدعى أمواجاً زلزالية، وهذا يعود إلى تكسر الصخور وإزاحتها بسبب تراكم إجهادات داخلية للأرض نتيجة لمؤثرات جيولوجية ينجم عنها تحرك الصفائح الأرضية، وتوجد الأنشطة الزلزالية على مستوى حدود الصفائح الصخرية.

أقوى الزلازل التي حدثت وأودت بحياة الكثير من الناس وهدمت الكثير من المباني زلزال توهوكو عام ٢٠١١م في اليابان بقوة ٩.١ درجات على مقياس ريختر، وزلزال ستشوان عام ٢٠٠٨م في الصين بقوة ٨ درجات، وزلزال كانتربيري عام ٢٠١٠م في نيوزيلندا بقوة ٧ درجات، وزلزال إزمير في تركيا بقوة ٧.٦ درجات، وبلغت الخسائر في كل زلزال ما مقداره من ٤ - ٢٠٠ مليار دولار.

يتم دراسة الزلازل بعدة طرق، وهنا سوف نلخص أبرزها وأهمها:

أولاً: دراسة الزلازل التاريخية:

وهي الأحداث الزلزالية التي حصلت في الماضي قبل اختراع جهاز «السيزوميتر»؛ أي ما قبل القرن العشرين، ويتم دراستها بالطرق الآتية:

١- دراسة المخطوطات والسجلات التاريخية التي كتبت بعد وقوع الزلازل في الأزمنة القديمة من قبل المؤرخين، تسمى هذه الدراسة بـ«الماكروسيزمولوجي»؛ حيث يتم استنباط تاريخ ووقت حدوث الحدث الزلزالي وشدة الدمار الناتج عنه في المنطقة الموصوفة.

٢- دراسة الدمار الزلزالي في المواقع الأثرية، تسمى هذه الدراسة بـ«الأركيوسيسمولوجي»؛ وهي دراسة التشوهات والأضرار الزلزالية على المباني الأثرية، ويتم معرفة تاريخ الزلازل ووقتها وشدتها ومصدرها.

٣- دراسة التشوهات الناتجة من الزلازل في الرسوبيات، وتسمى «الباليوسيزمولوجي»؛ حيث يتم دراسة الإزاحات الناتجة عن تحرك الصفائح، وذلك بحفر خنادق على طول الفوالق بشكل مباشر، وتحديد الانزلاقات التي سببت الزلازل لمعرفة تاريخ ومقدار الطاقة الزلزالية المتحررة من الفالق.

ثانياً: دراسة الزلازل التي حدثت بعد اختراع «السيزوميتر»:

«السيزوميتر» جهاز يستقبل الموجة الزلزالية في وقت وصولها إلى المحطة الزلزالية وتسجل مواصفات الموجة، المحطات الزلزالية منتشرة في جميع أنحاء العالم، وتم ربطها بالمرصد الزلزالي الرئيس، لكل دولة مركز رئيس يتم فيه جمع قراءات الأمواج الزلزالية من المحطات المنتشرة بالمنطقة، ويتم تحليلها بواسطة برامج الحاسوب، ومنها يتم معرفة مواصفات الزلزال مثل القوة الزلزالية الناتجة ومصدره والإزاحة الناتجة من الصدع ومواصفاته.

من هذه الطرق مجتمعة يتم تلخيص وتجميع البيانات فيما يعرف بـ«الكتالوج الزلزالي»، وهو سجل يلخص فيه الأحداث الزلزالية التاريخية والحديثة، كل ذلك كي يتم معرفة معدل تكرار الزلازل في المنطقة المحددة؛ مما يساعد في تقييم الوضع الزلزالي في المنطقة وتقسيمها إلى منطقة

البحث العلمي والتوعية أساسان في كيفية التعامل مع الكوارث وتخفيف الخطر الزلزالي

مرتفعة الخطورة أو متوسطة الخطورة أو غير خطرة، ويعبر عنها بنماذج وخرائط.

هناك دائماً دراسات تتركز على الطرق المذكورة التي تحاول تحديث الكتالوجات الزلزالية، ذلك يفيد في زيادة دقة تقييم الوضع الزلزالي؛ أي أنه كلما زادت الدراسات؛ زاد فهم الوضع الزلزالي والتحديد الدقيق للمناطق الخطرة وغير الخطرة.

تقييم الوضع الزلزالي مهم جداً في تفادي وتخفيف وقوع أضرار وخسائر في الأرواح والممتلكات، فعند معرفة المواقع الخطرة فإنه يجب تطوير أساليب البناء لكي تكون مقاومة للهزات الزلزالية، حيث إن الخسائر بالأرواح تحصل بانهيار المبنى، وأبرز مثال ما حصل في جنوب تركيا وشمال سورية، فيجب مراعاة ما يعرف بـ«كودات البناء»، حيث يصمم المبنى مقاوماً لزلزال مثلاً بقوة ٨ أو ٧ درجات وهكذا، وتم تطبيق هذه المنهجية في الدول المتقدمة مثل اليابان، وأيضاً التقييم الزلزالي يجب أن يدرس قبل إنشاء وبناء المشاريع الضخمة مثل السدود ومحطات البترول أو المحطات النووية لتوليد الطاقة، حيث يجب بناؤها في المناطق ذات الخطورة القليلة، أو بناؤها بأساليب مقاومة للزلازل المدمرة.

ومن أبرز نقاط الضعف الموجودة عدم وفرة بيانات كافية في الكتالوجات الزلزالية وخاصة التاريخية، وهذا يضعف في التقييم الزلزالي، إذاً لكي نخفف الخطر الزلزالي يجب الاهتمام بالباحثين وتقديم الدعم للمشاريع البحثية الخاصة بالكوارث الطبيعية.

ومن ناحية أخرى، ضرورة عقد المؤتمرات والندوات التوعوية للناس

والمهتمين في هذا المجال؛ مما يزيد من الوعي عندهم وتحديث المناهج المدرسية والجامعية لزيادة الوعي عند الطلاب حتى يعرفوا كيفية التعامل مع الكوارث الزلزالية، وتطبيق المنهجيات التي تساهم في تخفيف الخطر في مواقعهم الوظيفية في المستقبل؛ مثل الهندسة والبيئة والطاقة.

هل يمكن التنبؤ بحدوث الزلازل؟

وإضافة إلى ذلك، وهو الأهم، يجب التمييز بين الحقائق العلمية والخرافات، وتمييز الشائعات التي تقذف الرعب في نفوس الناس، ومثال على ذلك ما أشيع بأن فلاناً أو دجالاً توقع حدوث زلزال في الوقت الفلاني، حيث إن هذا لا يمكن أن يكون مبنياً على أي نظرية علمية،

تقييم الوضع الزلزالي مهم في تفادي وقوع خسائر بالأرواح والممتلكات

توقع حدوث زلزال بوقت ما لا يمكن أن يكون مبنياً على أي نظرية علمية

وهو فقط أكاذيب يقع ضحيتها الناس بتصديقها؛ لأن الصواب هو أن العلم فقط يخبرنا أن المنطقة الفلانية خطرة زلزالياً والأخرى أقل خطراً وهكذا.

لا يمكن للزلازل أن تكون مفتعلة؛ لأن الزلزال ناتج من تحرك الصفائح الأرضية، حيث إن هذه الحركة ينتج عنها تفريغ للطاقة تنتشر من خلالها أمواج زلزالية التي تصل إلى سطح الأرض مؤدية إلى انهيارات للمباني غير المقاومة للهزات الأرضية، فقد تم تداول أن هناك قنابل نووية أدت إلى حدوث زلزال تركيا، وهذا ليس صحيحاً أبداً؛ لأن القنابل النووية غير قادرة على تحريك الصفائح الأرضية، وأيضاً فإن «السيزوميتر» يمكنه التمييز بين الموجات الناتجة من الانفجارات أو تحرك الصفائح، إذاً يجب علينا ألا نصدق مثل هذه الخرافات.

مناطق ودول الوطن العربي معرضة لوقوع الزلازل بها، وخاصة المناطق الواقعة على حدود الصفائح، ومنها منطقة الأردن وفلسطين الواقعة على حدود صفائح فالق البحر الميت التحويلي الجنوبي، وسورية ولبنان اللذان يقعان على حدود فالق البحر الميت الشمالي والمناطق الواقعة من شرق البحر المتوسط، والعراق خاصة المدن القريبة من جبال زاقرس مع الحدود الإيرانية والتركية، والخليج العربي مثل السعودية، فإن النشاط الزلزالي متركز في المناطق القريبة من البحر الأحمر، وحسب سجل الزلازل التاريخية، فإن المدن الواقعة قريباً من المحيط الهندي وبحر العرب شهدت هزات مدمرة في العصور المختلفة، والمناطق العربية في قارة أفريقيا وخاصة القريبة من البحر الأبيض المتوسط هي الأكثر تعرضاً للزلازل.■

في التكنولوجيا مآرب أخرى..

مواقع التواصل الاجتماعي حاضرة بقوة في زلزال تركيا وسورية

فرضت أبجديات التمدن والثورة الرقمية العالمية نفسها بقوة في كافة تفاصيل حياة الناس؛ وبات الشق الثاني لا يقل أهمية عن أدوار أساسية في محاولة رفع الضرر وإنقاذ البشر، وهو ما ظهر بشكل جلي في كارثة الزلزال المدمر الذي ضرب تركيا وسورية، مؤخراً، وأسفر عن مقتل ما يزيد على ٤٠ ألف شخص، حتى الآن.

تحقيق – سمير محمد:

سواعد التكنولوجيا كانت حاضرة بقوة جنباً إلى جنب مع سواعد فرق الإنقاذ التي ظلت تسابق الزمن لانتشال ناجين من تحت ركام المباني المهدمة، من الطائرات بدون طيار (الدرونز) التي تجول في الأجواء لتقييم الأضرار ورسم صورة أوضح للتعامل مع الكارثة، مروراً بأداة «فايندر» التابعة لوكالة «ناسا» الأمريكية، التي يمكنها اكتشاف نبضات القلب تحت ٣٠ قدماً من الركام.

ولم ينته الأمر بخدمة الإنترنت «ستارلينك» التي عرض رجل الأعمال والملياردير الأمريكي «إيلون ماسك» تشغيلها بمناطق الكوارث لتوفير اتصالات عالية الجودة قد تكون مهمة لفرق الإنقاذ والمسؤولين الحكوميين.

وجنباً إلى جنب مع التكنولوجيا بمواقع الكارثة، حضرت مواقع التواصل الاجتماعي وتطبيقاتها لتؤدي دوراً مهماً على الأرض وفي فضاء الشبكة العنكبوتية.

وقد شاهدنا عام ٢٠١٤م إطلاق عملاق التواصل الاجتماعي «فيسبوك» خاصية «Safety Check» ليتمكن الأشخاص من إرسال رسائل طمأنة لأصدقائهم في جميع أنحاء العالم في أوقات الكوارث العالمية، وهي إحدى الميزات التي يتم تفعيلها مع كل كارثة من قبل «فيسبوك»، وحدث ذلك مع زلزال تركيا وسورية، وتساعد هذه الخاصية الأشخاص في طلب المساعدة من الأصدقاء، ويمكن للأشخاص أن يتطوعوا للمساعدة من خلالها.

وبعد عام ٢٠١٤م، بدأت شركات التكنولوجيا الكبرى في الاهتمام بميزات الأمان في أجهزتها، مثل خاصية تنبيهات الطوارئ في أجهزة شركة «آبل» التي تسمح لمستخدميها بتلقي تنبيهات الطوارئ والتنبيهات الحكومية والخاصة بالسلامة العامة على الهاتف أو الساعة الذكية التي يمكنها أيضاً الاتصال بخدمات الطوارئ في غضون ١٠ ثوان حال وقوع حادث لمرتديها؛ ما يفيد في تقليل أعداد الضحايا وقت الكوارث.

التفاعل مع الأزمات

بعيداً عن الجانب التكنولوجي الذي تتيحه وسائل التواصل في مساعدة ضحايا الكوارث العالمية، تسمح أيضاً هذه المنصات لمستخدميها بالتفاعل مع الأزمات بعرض

المساعدة أو إظهار التعاطف مع الضحايا وتداول قصصهم، وبحسب منصة «تويتر» تربعت كلمة «earthquake» على عرش قائمة الأعلى تداولاً بالمنصة لأيام في أعقاب الزلزال الذي ضرب تركيا وسورية، مع آلاف التغريدات يومياً عن ضحايا الزلزال.

وفي «فيسبوك»، إلى جانب آلاف المنشورات أيضاً، تظهر الصفحة الخاصة بالاستجابة للأزمات العشرات من عروض المساعدة بالطعام والمأوى التي قدمها مستخدمون في محيط الزلزال للضحايا.

وساعدت هذه التغريدات الصحفيين في الوصول إلى قصص عن الضحايا يمكن التعامل معها صحفياً وتسليط الضوء عليها؛ لجذب مزيد من الاهتمام ناحية ضحايا زلزال تركيا وسورية.

يقول الصحفي **خالد عمر**: بتغريداتهم يظهر مستخدمو المنصات الاجتماعية التعاطف؛ ما يسهم في الضغط على بعض الحكومات خاصة الديمقراطية من أجل التفاعل بشكل أسرع مع الكوارث وتقديم المساعدات للضحايا، مضيفاً أنه من خلال عمله الصحفي على مدار ٢٠ عاماً شاهد استجابات مختلفة لرواد مواقع التواصل في الكوارث العالمية، بها الكثير من التعاطف والقليل من الشماتة خاصة من يعتقدون أن الكوارث «انتقام من الله».

لكن عمر يرى، في الوقت نفسه، أن إظهار التعاطف فقط والتفاعل عبر منصات وسائل التواصل ليس كافياً في مساعدة الضحايا، حيث يجب أن يتحرك خاصة القريبين من موقع الكارثة لتقديم المساعدة على الأرض.

أما **أحمد سمير**، الصحفي المتخصص في منصة «تويتر»، فيرى أن وسائل التواصل، خاصة «تويتر»، تساعده في متابعة الأحداث لحظة بلحظة، وتسهم في توصيل المعلومات بشكل أسرع للصحفيين؛ وبالتالي نقلها للجمهور وزيادة مساحة التوعية في وقت الكوارث، مشيراً إلى أهمية وسائل التواصل في رسائل التضامن مع الضحايا وجمع التبرعات المادية والعينية لهم، وكذلك التطوع للمساعدة في إيواء الضحايا.

كما يعبر رواد مواقع التواصل عن تعاطفهم مع الضحايا، ويبرزون أيضاً تفاعلهم مع البطولات التي تقدَّم في مواقع الكوارث، حيث رأينا وسم «شكراً أبطال الحماية»، مثلاً، الذي أطلقه رواد موقع «تويتر» في الجزائر لدعم رجال الدفاع المدني الجزائريين والعاملين في تركيا، مع عشرات الصور لهم وهم يعملون بجد في انتشال الضحايا من المناطق المتضررة من الزلزال.

ورأينا كذلك من خلال الوسوم المنتشرة عن الزلزال في تركيا وسورية فيديوهات لرجال الإنقاذ وهم يعملون ليل نهار لانتشال الضحايا من تحت الأنقاض، وهي القصص التي تسهم في تسجيل بطولاتهم، وتسليط الضوء عليها في وسائل الإعلام.

الحكومات ومواقع التواصل

تستخدم الحكومات وسائل التواصل للوصول إلى المواطنين مباشرة وبشكل أسرع، وأنشأت عدة حكومات حول العالم صفحات متخصصة على «تويتر» و«فيسبوك» يمكن بسهولة التحقق منها عن طريق العلامة الزرقاء والتصنيفات الرمزية بالمنصات المختلفة، ولهذه الصفحات دورها وقت الكوارث.

وتقدم الحكومات المعلومات الموثوقة إلى مواطنيها وقت الكوارث من خلال صفحاتها الموجودة على المنصات المختلفة، وتحذرهم في الوقت ذاته من المخاطر التي قد يتعرضون لها في مناطق جغرافية عرضة للكوارث كي يتجنبوها.

ويمكن من خلال هذه الصفحات للمواطنين في المناطق المتضررة التواصل مع الحكومات في رسائل مباشرة.

الأمر لا يخلو من نقاط سلبية، فكما تظهر رسائل التعاطف والقصص البطولية عبر وسائل التواصل في وقت الكوارث، تكون هذه الأوقات أيضاً معبراً للكثير من القصص الزائفة والمعلومات المغلوطة.

ويتفق الصحفيان أحمد سمير، وخالد عمر، على خطورة المعلومات والقصص الزائفة التي تنتشر وقت الكوارث، وينصحان المواطنين بضرورة الاعتماد على مصادر موثوقة ومنصات إخبارية متخصصة للحصول على المعلومات وعدم الانسياق وراء كل ما ينشر على المنصات الاجتماعية.

ويرى عمر أن هناك من يستغل الكوارث من أجل زيادة التفاعل على صفحته الشخصية، ويشارك بقصص زائفة في «الترند»؛ ما قد يتسبب في أزمة كبيرة يمكن أن تطال الضحايا أنفسهم وتقلل من حجم التعاطف معهم.

أما سمير فيعتقد أن من بين السلبيات الكبرى لوسائل التواصل السماح بنشر المشاهد العنيفة والدموية وقت الكوارث، خصوصاً أن هذه المشاهد تظهر أمام المراهقين والأطفال.■

روادها يعبرون من خلالها عن تعاطفهم وتفاعلهم مع فرق الإنقاذ

العمل التطوعي يستخدم إعلانات وسائل التواصل للوصول لمتبرعين أكثر

خذوا الحكمة من عزيمة اليابانيين

للأسر العربية.. هذه نصائح المختصين للتعامل بوعي اقتصادي مع الزلازل

تداعبنا كثيراً أمنيات أن نكون مثل اليابان، ويبدو أن الأمنية قد تتحقق، لكن بعيداً عن التقدم التكنولوجي والصناعي، حيث يقول علماء: إن المنطقة العربية باتت ذات نشاط زلزالي في بعض أماكنها، لا سيما بعد تكرار الزلازل في محيطها مؤخراً، لتتشابه في بعض الخصائص مع اليابان، المعروفة بأنها إحدى أكثر المناطق النشطة زلزالياً.

وسط هذه المستجدات، ظهرت مطالبات من متخصصين في التنمية المستدامة والاقتصاد ببدء صناعة وعي جمعي للتعامل مع هذه الكوارث الطبيعية على مستوى الأسر، وصولاً إلى مجتمع قادر على التعامل بشكل شامل مع هذا الأمر، معنوياً واقتصادياً.

«المجتمع» حاورت بعضهم؛ بحثاً عن إجابات قد تشكل ما يمكن اعتباره إستراتيجية واضحة لتحصين الأسر العربية –قدر الإمكان– من التبعات السلبية للزلازل، سائلين اللَّه تعالى أن يحفظنا وأهلينا من كل شر.

تحقيق – جمال سالم:

يوضح الأمين العام للاتحاد العربي للتنمية المستدامة والبيئة، **د. أشرف عبدالعزيز**، أن مسؤولي الأمم المتحدة اجتهدوا في عمل برنامج عالمي، يتم من خلاله تقييم مخاطر الزلازل وتثقيف أبناء مناطق الأحزمة الزلزالية النشطة، والتعاون مع الدول الواقعة في هذه الأحزمة أو القريبة منها لتصميم مشروع وقائي يتلاءم مع ظروفها الطبيعية والبيئية لمساعدتها في مواجهة الزلازل مستقبلاً.

من هنا، يطالب د. عبدالعزيز مسؤولي الدول العربية والإسلامية بالعمل على توعية الأسر في بلادهم بهذه الجهود، لا سيما بعد

أن تم تحديد أكثر من ٢٠ منطقة نشطة زلزالياً في العالم، ومنها يقع في الدول العربية والإسلامية وخاصة القريبة من البحار والمحيطات.

اليابان.. خبرة الآلام

يقول عبدالعزيز: يجب على الدول تأهيل الأسر فيها لكيفية التعامل اقتصادياً مع مثل هذه الكوارث، مثلما تفعل سلطات اليابان وشعبها، التي تعد من أفضل دول العالم في التعامل مع الزلازل سواء قبل أو أثناء أو بعد وقوعها، حيث استطاع العلماء في مختلف التخصصات تجهيز بنية تحتية متكاملة لديها القدرة على التقليل من الآثار المدمرة لصدمات الهزات الأرضية التي تعد عدواً تاريخياً للشعب الياباني.

وبعد زلزال عام ١٩٢٣م في اليابان، الذي خلف أكثر من ١٤٣ ألف قتيل، ومئات الآلاف من المصابين، ودماراً شاملاً في البنية التحتية، وبلغت قوته ٧.٩ درجات على مقياس ريختر، استطاع هذا البلد التسلح بالتجهيز الاقتصادي والوعي الشعبي أن يواجه مخاطر الزلازل لدرجة أنه لم تتأثر الحياة إلا بشكل بسيط جداً بالزلازل التي يصل عددها إلى قرابة ألفي زلزال سنوياً بدرجات مختلفة، حتى إن حركة القطارات لم تتأثر أو تتوقف.

ومنذ سنوات، ضرب زلزال شديد مدينة أوساكا، وهي من المدن الكبرى من حيث الازدحام السكاني وثاني مدينة صناعية ذات قيمة اقتصادية كبرى، وكان عدد القتلى والمصابين قليلاً جداً، وهذا لم يأت من فراغ؛ فقد تم إنشاء وزارة خاصة بالبنية التحتية وتخصيص ميزانية ضخمة لها، وأعلن مسؤولوها أنه تم تخصيص قرابة ٥٠ مليار دولار ذاك العام للوصول إلى المعايير الوقائية الكبرى وتوعية الأسر، وخاصة أن لديها أجهزة إنذار لمحاولة استشعار الزلازل قبل وقوعها بـ٨٠ ثانية على الأقل، تكلفت وحدها أكثر من مليار دولار، كما أن لديها شبكة أنفاق كبرى في المناطق المزدحمة مع

د. زينب:

٤ نصائح اقتصادية ذهبية للأسر قبل وبعد الزلزال للخروج بأقل الخسائر

د. عبدالعزيز:

يجب تعريف الأسر العربية بكتالوج الأمم المتحدة المخصص لأبناء مناطق الأحزمة الزلزالية النشطة

الوعي الأسري بكيفية التعامل الصحيح بدلاً من التزاحم القاتل.

في هذه المساحة، تشير **د. زينب صالح**، رئيس قسم الاقتصاد في كلية التجارة بجامعة الأزهر في مصر، إلى أن هناك مشكلات اقتصادية كثيرة تسببها الزلازل التي تؤدي إلى تدمير الموارد الحياتية، مثل مصادر مياه الشرب الصحية نتيجة تدمير مواسير المياه.

وتُجمل الخبيرة عدة نصائح للأسر والسلطات، سواء بسواء، للتعامل بوعي اقتصادي مسبق مع كارثة الزلزال:

١- يجب على الأسر تخرين الحد الأدنى من مياه وأطعمة في أوان محكمة الغلق للمحافظة على صلاحيتها إذا تهدم أو تصدع المبنى ولم تتبق سوى هذه المياه للمحافظة على الحياة التي تستمر ولو بقطرة مياه أو كسرة خبز.

٢- يجب على السلطات الاستعانة بمتخصصين في الغاز لتعريف الأسر بكيفية التعامل مع تسريبات الغاز خلال الزلزال وبعده، مثل سرعة إغلاق المحابس.

٣- يجب على كل أسرة الاحتفاظ بطفاية حريق، وأسطوانة للتنفس، مع تدريب أفراد الأسرة على كيفية التعامل معها وبشكل احترافي سريع لينقذ أفراد الأسرة أنفسهم وغيرهم.

٤- منعاً لخطر فقدان الأدوية الضرورية وخاصة لذوي الأمراض المزمنة، يجب أن تضع الأسرة أدويتها في أكثر الأماكن أماناً في المنزل، بحيث لا تكون تحت الأسرة المنزلية، بل في مكان مرتفع، خاصة أنه في حالة الزلازل عادة ما تنعدم فرص حصول المتضررين على الأدوية الضرورية، وفقدان وسائل التأمين الصحي أو الرعاية اللازمة بعد تشريدهم وانهيار المستشفيات ضمن البنية التحتية والخدمات.

تنويع مصادر الدخل

وتشير د. زينب إلى أهمية تفكير الأسرة في استثمارات متنوعة لرأسمالها وفي أماكن مختلفة، أو كما يقولون: «لا تضع البيض كله في سلة واحدة»؛ لأنه عادة ما ينتج عن الزلازل انخفاض -إن لم يكن انهيار مصدر دخل الأسرة- مما يؤدي إلى انخفاض نوعية حياتها بعد الكارثة وتدمير مصادر ثروتها ودخلها.

ولأن عمليات السطو والنهب قد تكثر في أوقات ما بعد الكارثة، خاصة مع انشغال السلطات بعمليات الإنقاذ أو إعادة الإعمار السريع، يفضل عدم احتفاظ الأسر بأموالها أو مجوهراتها في المنازل، وأيضاً منعاً لفقدانها في حالة انهيار المنزل ونجاة الأسر، بل يفضل وضع الأموال في البنوك كوسائل أكثر أماناً، بحسب الخبيرة الاقتصادية.

وتلفت د. زينب إلى أهمية تفعيل ما أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ٢٠١٥م، من اتفاقية «سنداي» الطوعية التي انضمت إليها ١٠٠ دولة، ومدتها ١٥ عاماً، قابلة للتجديد لتقليل احتمالية وتأثير الكوارث الطبيعية في العالم، وخفض حجم الدمار البشري والاقتصادي من خلال تحسين التعاون الدولي للإنقاذ السريع وتنشيط العمل الإغاثي، والاستعانة بالهياكل الفولاذية المضافة خارجياً للمباني.

يبقى الإشارة إلى أهمية سعي المسؤولين في الدول العربية إلى تبادل الخبرات الدولية في مجال هياكل مبنية على الألياف الاصطناعية والقواعد المطاطية أو المملوءة بالسوائل مما يؤدي إلى امتصاص الصدمات الزلزالية، فضلاً عن الوصلات التي تستخدم السبائك المعدنية شديدة المرونة والفلين الاصطناعي الرقيق، وسبائك النيكل والتيتانيوم، أو النحاس والألمنيوم والمنجنيز وغيرها سواء في المباني السكينة أو الجسور.■

دور الفن في تهذيب المجتمع وعلاج ما بعد الصدمات

أمـــل زكريـــا
استشارية تربوية ومعالجة معتمدة بالفن

لا يخفى علينا أن التراكمات السلبية بعد المرور بالكوارث الطبيعية كالزلازل، والأحداث الدامية كالحروب، والتعرض للعنف المتكرر أو الكروب والابتلاءات الحياتية، مشاعر لا يخلو منها إنسان، وتتباين قدرتنا على التعافي حسب طبيعة كل منا؛ فمنا من يتجاوزها بصورة طبيعية وقتية، ومنا من تتملكه المشاعر السلبية، فلا يستطيع الفكاك منها، ويتمكن منه اليأس والغضب على النفس وعلى الآخرين وجلد الذات التي تصيبه جميعها باضطرابات وأمراض نفسية لا حصر لها.

تلك المشاعر السلبية التي لخصها النبي صلى اللَّه عليه وسلم في كلمتين، هما: «الهم، والحزن»، واستعاذ منهما دائماً نبينا الكريم الذي ما رأى أحداً في هَمٍّ أو مصيبة إلا واساه، حتى إنه واسى طفلاً مات عصفوره وجلس يلاعبه حتى يهون عليه.

يرى بعض الناس في الكروب والحوادث المؤلمة الضرر والابتلاء بطريقته هو وفق ما يعقله بفهمه هو، حتى إن الألم يعميه عن رؤية الخير الكامن خلف كل شر فيزداد همه، وتتأثر نفسه بالحزن، لذلك نجد القرآن الكريم يوجه أتباعه في أكثر كروب حياتهم ثقلاً على نفوسهم وهي الهزيمة، فيقول:﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩)، ويقول:﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧).

وعلى مستوى العلاقة الشخصية مع الخالق سبحانه، بعد أن يغرق الإنسان في وحل المعاصي، تراه يفتح أمامه باب الأمل واسعاً، فيقول: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر: ٥٣)، وحين انقطاع الأسباب يجعل له نظرة إلى مسببها سبحانه، فلا يستبد به اليأس والقنوط، ويرتاح قلبه إلى الركون لهذه القدرة المطلقة.

من هنا نجد الدعوة القرآنية النبوية المتكررة إلى الاحتراز من البيئة السيئة التي تغذي الحزن والهم، من مثيرات الانفعال ومدخلات السلوك، ثم إلى دفع الخواطر السيئة وما تؤدي إليه من الانفعال، ثم يأمر

بضبط هذه الانفعالات السلبية واحتوائها عن طريق العقل، وعدم الاستسلام النفسي لها حتى لا تتمكن منه.

ومع قليل من التأمل، نجد تلك الخطوات القرآنية والنبوية هي نفسها المراحل العملية لعلاج اضطرابات ما بعد الصدمات الذي يعتمد في أساسه على الاستقرار الخارجي والداخلي، والتعبير بطرق مختلفة عما يجول في النفس من أفكار وآلام بشكل فعال، ثم تنظيم الوضع العاطفي والتعامل مع الأفكار السلبية ثم المعالجة والتعافي للرجوع للحياة بمساراتها الطبيعية دون التأثر بالماضي.

العلاج بالفن

ولعل من أنجح طرق العلاج غير السريرية التي تتبع هذه المنهجية العلاج بالفن، الذي عرَّفته جمعية العلاج بالفن الأمريكية بأنه: «الاستخدام العلاجي لصناعة الفن مع الناس الذين يعانون من المرض والصدمة أو التحديات في المعيشة أو الذين يسعون لتنمية الشخصية، ويمكن للناس زيادة الوعي الذاتي من التعامل مع الأعراض والإجهاد والتجارب المؤلمة وتعزيز القدرات المعرفية والتمتع بملذات الحياة من خلال إنتاج الفن والتفكير في المنتجات والعمليات الفنية».

وقد وجد أن الفن وسيلة فعالة في تنمية المهارات والأفكار والمدركات الحسية المرتبطة بالقدرات العقلية، كما يملك القدرة على إظهار التعبير الرمزي، فهو إذن يسهم أيضاً في الإبداع والنمو المجتمعي.

وقد بدأ العلاج بالفن كمهنة في منتصف القرن العشرين، ونشأ بشكل مستقل في الدول الناطقة بالإنجليزية والأوروبية، ثم أطلق الفنان البريطاني «أدريان هيل» مصطلح «العلاج بالفن» في عام ١٩٤٢م، حيث اكتشف الفوائد العلاجية للرسم والتلوين في فترة نقاهته عندما كان في المشفى يتعافى من مرض السل، وكتب أن قيمة الفن تكمن في العلاج، واقترح العلاج الفني على زملائه المرضى، ثم بدأ في عمله بالعلاج بالفن الذي تم توثيقه في عام ١٩٤٥م في كتابه «الفن ضد المرض».

أسس الفن كوسيلة علاجية:

تناول عبدالمطلب أمين القريطي، في كتابه «مدخل سيكولوجية رسوم الأطفال»

الفن وسيلة تعويضية عما يشعر به الفرد من عجز نفسي أو جسمي أو اجتماعي

القرآن يدعو للاحتراز من البيئة المغذية للحزن ويأمر باحتواء الانفعالات السلبية

أسس استخدام التعبير الفني كوسيلة علاجية، حيث أكد أن:

١- التعبير الفني وسيلة لإسقاط مخاوف الفرد، ومشاعره، وإدراكاته، واتجاهاته، كما أنه وسيلة للتنفيس عن الضغوط، والتوترات اللاشعورية المختزنة، مما قد يعجز الفرد أو يحجم عن الإفضاء به بالطرق المعتادة.

٢- الفرد ينفس عن انفعالاته، ونزعاته الداخلية، ويجسد عواطفه، وصراعاته، ومشكلاته عن طريق الترميز البصري من خلال الفن، وذلك يساعده على اكتشاف مشكلاته بدلاً من كبتها، والتعبير عن النزعات العدوانية بطريقة مقبولة مما يحقق له التوازن الداخلي، وتعزيز شعوره بالأمن، والثقة بالنفس.

٣- إسقاط الصور الداخلية وتجسيدها في رسوم خارجية يؤدي إلى بلورة التخيلات، والأحلام، وتثبيتها في سجل مصور ثابت يعين الفرد على التحرر من قبضة الصراع، والنظر إليها بموضوعية، ومعرفة التغيرات التي تحدث من خلال عملية العلاج بالفن ثم تقييم التقدم العلاجي.

٤- الفن وسيلة تعويضية عما يشعر به الفرد من عجز، وقصور نفسي أو جسمي أو اجتماعي، فمن خلال التعبير الفني يمكن أن يشبع الفرد بدرجة ما حاجاته ورغباته.

٥- التعبير الفني وسيلة ميسورة للاتصال، لا سيما بالنسبة لأولئك الذين يجدون صعوبة ما في الاتصال اللفظي، ويعانون من الوحدة والانغلاق على أنفسهم.

٦- يكسب التعبير الفني شعوراً متزايداً بالنجاح والقدرة على الإنجاز، وهو ما يمثل أهمية بالغة لمن لم يتمكنوا من اكتساب مشاعر الثقة بأنفسهم، واختلت صورهم عن ذاتهم من خلال تجاربهم السابقة المقرونة بالفشل والإحباط.

هل يتعارض العلاج بالدين مع العلاج بالفن؟

هنا وجب التنويه إلى أن التعافي بالفن لا يتنافى مع التعافي بالدين واللجوء إلى جاه الله عز وجل، فالفن في عمقه تجربة روحية يبحث فيها الإنسان عن المطلق، وينشد فيها الخير والحرية والمحبة والسلام، تجربة شخصية أصيلة روحانية متفردة، تتطلب الإخلاص والصدق ووهج الروح وإحساسها الجميل بالمعنى.

وهو، في الوقت ذاته، خبرات مكنونة تحتضن نبل الإنسان؛ أشواقه ورغباته، وتطلعه للتطهر والوصول إلى الحقيقة، محتواها النهائي هو الإنسانية الخالصة.

والدين والفن يشتركان في القضية نفسها؛ قضية الإلهام الإنساني المعبر عنها بطرق مختلفة، فالدين يؤكد الخلود والمطلق، والأخلاق تؤكد الخير والحرية، والفن يؤكد الإنسان والخلق، وهي في أساسها نواح مختلفة لحقيقة واحدة يتم التعبير عنها بلغة قد تكون قاصرة في إيصال المعاني، لكنها اللغة الوحيدة المتاحة، كما قال المفكر الإسلامي «علي عزت بيجوفيتش».■

الإجابة لفضيلة الدكتور عجيل النشمي - حفظه الله

إعداد- د. أحمد ناجي:

تعجيل الزكاة لضحايا الزلزال

• هل يجوز تعجيل الزكاة قبل موعدها لضحايا زلزال تركيا وسورية؟

- تجوز الزكاة، ويجوز تقديمها عن وقتها -ولو لسنة أو سنتين- لمنكوبي الزلازل في تركيا وسورية، وتكون لهم أولوية البذل على غيرهم، لعظم الفاجعة وكثرة منكوبيها، فهم قد فقدوا أموالهم ومساكنهم، بل فقد الكثير منهم أهليهم وذراريهم، وتشردوا عن قراهم، فيستحقون الزكاة بوصف الفقر، وبوصف كونهم من أهل السبيل المشردين.

وفي مثل هذه النكبات لا يقتصر البذل على الزكاة، فيلزم على المقتدرين بذل ما يستطيعون بعد الزكاة، وقد قرر الفقهاء: «أن في المال حقاً سوى الزكاة»، والله رغبنا بالبذل ووعد بالأجر العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التغابن: ١٥)، فالمال فتنة، أي اختبار وابتلاء من الله تعالى لمن وسّع عليه في الرزق، فكونوا من أهل الأجر العظيم من الله الكريم.

وقال الله تعالى مادحاً وواعداً عباده الباذلين المال بثلاثة عطاءات عظيمة: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٤)، فهذا ميدان ابتلاء لمن وسّع الله عليهم في الرزق، فكونوا ممن لهم الأجر، وممن لا خوف عليهم من عذاب الله، ولا يصيبهم الحزن والهم في الآخرة، فأنتم حينئذ ببذلكم المال من المفلحين بفضل الله في الدنيا والآخرة.■

دعاء القنوت لنازلة الزلزال

• هل يجوز أن يقنت المسلمون للزلزال الذي وقع في تركيا وسورية؟

- اتفق الفقهاء على جواز واستحباب القنوت لكل نازلة، من الوباء والقحط والفيضانات، وآكد من هذه وقوع الزلازل لما فيها من عظم المصيبة وشدتها وفجأتها وشدة الكرب فيها، لكثرة الموتى تحت الأنقاض، فالزلازل من أشد ما يستحب له القنوت، والخلاف بين الفقهاء إنما هو في القنوت في كل الصلوات أو في الفجر فقط، فعند الجمهور في المذاهب الأربعة -عدا المالكية- مستحب في كل الصلوات حتى الجمعة، وهو الصحيح، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما: «قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً متتابعاً في الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، يدعو على رعل وذكوان وعصية في دبر كل صلاة إذا قال سمع الله لمن حمده في الركعة الأخيرة، ويؤمن من خلفه» (أخرجه أبو داود، ١٤٤٣، واللفظ له، وأحمد، ٢٧٤٦)، وتكون كلها بالقنوت جهراً في الصلوات سرية كانت أو جهرية، ولذا يحسن أن تعمم وزارة الأوقاف القنوت في المساجد لما فيه من إقامة السُّنة، ولما فيه من إشعار ومشاركة المصلين لإخوانهم منكوبي الزلازل، والدعاء بالشهادة لموتاهم والسلامة لمصابيهم.■

هيئة علماء فلسطين
Palestine Scholars Association (PSA)

حكم التوقف عن إنقاذ شخص حي تحت الركام

إعداد- سيف الدين باكير:

في ظل حجم الكارثة والمأساة التي تعرضت لها تركيا وسورية جراء الزلازل التي ضربت عدة مناطق بالبلدين مؤخراً، وخلفت عشرات آلاف الضحايا، أصدرت «هيئة علماء فلسطين» فتوى حول إنقاذ من كان تحت الزلزال.

وعرضت الهيئة سؤالين في المسألة:

الأول: ما حكم التوقف عن إنقاذ شخص حي تحت الركام بحجة الخوف من انهيار المبنى على المنقذين؟

والثاني: هل يتعين إنقاذ منكوب تحت الركام على من كان حاضراً ويظن أنه قادر على الإنقاذ على الرغم من كونه غير مختص بالإنقاذ؟

وكانت الإجابة لعضو هيئة علماء فلسطين د. منذر زيتون، فيما يلي نصها:

إنقاذ من يتعرض للخطر هو أمر جليل وعمل عظيم في الإسلام، وصاحبه مأجور من الله تعالى، وهو في الأصل واجب على من قدر عليه، أو استطاع أن يساهم فيه بأي صورة ولو بمجرد طلب المعونة من الآخرين أو حثهم على فعله لما في ذلك من حفظ النفس الإنسانية وإحيائها، ومعلوم أن حفظ النفس مقصد عظيم من مقاصد الشريعة، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ (المائدة: ٣٢).

وفي المقابل، فإن من تقاعس عن ذلك أو تخلى عن دوره في إنقاذ المبتلى والمعرض للخطر وهو يقدر على ذلك تحت ذريعة الخوف أو الجبن أو اللامبالاة؛ فإنه آثم؛ لأنه لم يقم بواجبه الشرعي، ولو تخيل ذلك المتقاعس نفسه مكان ذلك المسكين لفهم معنى أن ينصر الإنسان غيره، ولعرف قيمة البذل والعطاء للآخرين من الضعفاء والمساكين والمحتاجين والمعرضين للأخطار، مع ملاحظة أن الآية الكريمة السابقة تنص أيضاً على قوله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾ (المائدة: ٣٢)، وأي فساد أعظم من تعريض الناس للخطر أو تركهم يعانون منه مع الامتناع عن نجدتهم؟!

ولكن في الوقت نفسه، فإنه لا ينبغي للإنسان أن يعرض نفسه لخطر الهلاك إن علم أنه يعجز عن إنقاذ غيره، فالله تعالى لا يكلف النفس بأكثر مما في وسعها، ونهى أن يعرض الناس أنفسهم للهلاك من غير موجب، فقال عز وجل: ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥)، وهذا يدعو الفرد أمام هذه المسألة الصعبة أن ينظر إلى قدراته، فإن قدر مضى في عمل الخير ومد يد المساعدة لمن يحتاجها، وإن عجز عن ذلك فعليه أن يستعين بمن يقدر عليها، فإن لم يجد من يعينه قام بما يقدر عليه مستعيناً بالله تعالى، سيما أن هذا الواجب يعد من الواجبات الكفائية التي إن قام بها البعض سقط الطلب، وما انبنى عليه من الإثم عن الباقين، التي أيضاً يتوجب على المرء فيها القيام بالحد الذي يستطيعه لأنه هو ما سيحاسب عليه.

وأما إن تيقن الفرد أنه يستطيع أن ينقذ غيره ولكنه يمكن أن يهلك في مقابل ذلك، فهو هنا أمام أمر غاية في الأهمية يقوم على تقدير الموقف وما ينبني عليه، فإن قدّر احتمال موته في مقابل إنقاذ غيره فإنه لا يلتفت إلى الظن أو الشك ويمضي في تلك المهمة المقدسة، وما كان جهاد المجاهدين من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا إلا أنه يدور في مثل هذه الدائرة، وإلا ما الذي يدفع المجاهدين إلى مواجهة العدو وقتاله وهم يعلمون أن موتهم قاب قوسين أو أدنى إلا أنهم أرادوا أن يفدوا الآخرين بدمائهم

وحيواتهم ويهبوا لهم السلامة والأمن وإن ضحوا بأنفسهم الغالية، والشهيد في عقيدتنا حي لا يموت لما يتمتع به من رضا الله تعالى وجنة الخلد والجزاء العظيم، وقد أكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩).

وإن كان موته حتمياً مع موت من يريد أن ينقذه فلا ينبغي له أن يفعل ذلك؛ لأنه يعرض نفسه في ذلك للهلاك، وأما إن تيقن من موته في مقابل إنقاذ غيره فهو هنا مخيّر بين أن يمضي في الإنقاذ وبين أن يتوقف، ولن يكون مؤاخذاً فيما اختار لأنه في الحالتين سوف يعمل على إحياء نفس من النفوس.

على أن إنقاذ الآخرين لا يعني بذل النفس دائماً، وإنما قد يكون أحياناً ببذل المال أو الوقت أو الجهد، وكل ذلك مأجور إن شاء الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ١١٠).■

توافق الفلسطينيين على برنامج مشترك.. أمرٌ الساعة

د. صالح النعامي
كاتب فلسطيني متخصص في الشأن الصهيوني

تواجه حكومة «بنيامين نتنياهو» القائمة على تحالف حزب الليكود وقوى اليمين الديني المتشدد تحدياً كبيراً لمصداقيتها، في ظل تواصل عمليات المقاومة الفردية التي باتت تجبي أثماناً كبيرة رغم الاحتياطات الأمنية والإجراءات العقابية الجماعية التي تتخذها في أعقاب كل عملية.

جاءت عملية الدهس في القدس المحتلة التي نفذها شاب من بلدة «العيسوية»، الشهر الماضي، التي قتل وجرح فيها ٨ مستوطنين رداً على المجزرة التي نفذها جيش الاحتلال في مخيم «عقبة جبر»، قضاء أريحا، وجاءت عملية إطلاق النار في مستوطنة «النبي يعقوب» التي قتل فيها ٨ مستوطنين، وجُرح ١٥ آخرون رداً على المجزرة التي نفذها الاحتلال في مخيم جنين.

يتضح بما لا يقبل الشك أن إستراتيجية الحكومة الصهيونية لم تفشل فقط في تحقيق هدفها في وقف عمليات المقاومة، بل إنها (الإستراتيجية) أصبحت بحد ذاتها مسوغاً لتوفير بيئة تساعد على تنفيذ مزيد من العمليات.

وقد تبين بشكل واضح أن هناك علاقة طردية بين زيادة مستويات القمع والجرائم التي يرتكبها الاحتلال، وتعاظم الدافعية لدى الشباب الفلسطيني للانضمام إلى دائرة الفعل المقاوم.

إلى جانب ذلك، فإن جميع القرارات والإجراءات الأمنية التي اتخذتها الحكومة «الإسرائيلية» لن تؤثر من ناحية عملية على نجاح عمليات المقاومة في المستقبل، فجميع عمليات المقاومة التي نفذت مؤخراً عمليات فردية؛ حيث من الصعب جداً على مخابرات الاحتلال أن تحصل على معلومات مسبقة يمكن أن تساعد على إحباطها قبل تنفيذها، بخلاف العمليات التي تنفذها خلايا تنتمي إلى تنظيمات.

فضلاً عن أن أكثر العمليات قوة نفذت مؤخراً في منطقة القدس التي تخضع لسيطرة «إسرائيل» المباشرة، وفي ظل حالة استنفار أمني كبير؛ مما يعني أن تنفيذ المزيد من عمليات المقاومة يرتبط بمستوى الدافعية لدى الشباب الفلسطيني أكثر مما يرتبط بإجراءات «إسرائيل» الأمنية.

وقد وصل سعار قادة هذه الحكومة إلى حد أن بعضهم أقدم على خطوات باتت مثار سخرية لدى وسائل الإعلام والنخب

هناك علاقة طردية بين تصاعد جرائم الاحتلال وتعاظم المقاومة لدى الشباب الفلسطيني

الصهيونية ذاتها؛ فقد أعلن وزير الأمن الوطني الصهيوني «إيتمار بن غفير» عن شن حملة عسكرية أطلق عليها «السور الواقي» بالقدس الشرقية، في فبراير الماضي، بعد ساعة فقط على عملية الدهس؛ دون أن يتشاور مع رئيس الحكومة «بنيامين نتنياهو» والمجلس الوزاري المصغر لشؤون الأمن، ودون الرجوع إلى قيادة الشرطة التي يعد مسؤولاً عنها وجيش ومخابرات الاحتلال.

وقد بات يطلق على «بن غفير» «وزير التيك توك»، في إشارة إلى سرعة إصداره التصريحات والقرارات عبر مواقع التواصل دون التنسيق مع زملائه في الحكومة أو الأجهزة الأمنية المسؤول عنها.

لكن على الرغم من ذلك، فإنه يتوجب على الفلسطينيين عدم الاستخفاف بـ«بن غفير» وما يمكن أن يصدر عنه؛ حيث إنه على الرغم من الطريقة البهلوانية التي يتعامل بها كوزير للأمن مما جعل تطبيق قراراته أمراً مكلفاً للكيان الصهيوني ومحرجاً للحكومة التي يشارك فيها؛ فإنه يتوجب عدم تجاهل حقيقة أنه بدون «بن غفير» فإن «نتنياهو» سيفقد حكومته.

ففي حال لم يتم استرضاء «بن غفير»، فإنه قد يهدد بانسحاب حركته «المنعة اليهودية» من الحكومة؛ مما يعني أن تفقد الحكومة أغلبيتها البرلمانية فتسقط فوراً، وهذا ما لا يمكن أن يسلم به «نتنياهو»، الذي يراهن على الحكومة الحالية في تمرير مشاريع قوانين تعفيه من المحاكمة في قضايا الفساد الخطيرة التي يحاكم فيها حالياً.

لذا، فإن «نتنياهو» سيحاول تطبيق بعض ما يدعو له «بن غفير» في حملة «السور الواقي»، التي تتضمن تشديد الخناق على الفلسطينيين في القدس عبر شن عمليات اعتقال واسعة، وتدمير منازل، وفرض قيود على حرية الحركة، ومحاربة ما يعرف بـ«التحريض»، سيما داخل المساجد، إلى جانب ذلك إلزام الشرطة بالعمل على إجبار المقدسيين على دفع الضرائب لسلطات الاحتلال، وتحديداً ضريبة الداخل.

وسبق أن أقدم «بن غفير» بالفعل على خطوات أخرى ذات طاقة تفجير عالية، تتمثل في اتخاذ قرارات تهدف إلى التضييق على الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال؛ حيث تعرضت الأسيرات

«نتنياهو» مضطر لتنفيذ مطالب «بن غفير» بالتضييق على الفلسطينيين حرصاً على كتلته

بدون «بن غفير» فإن «نتنياهو» سيفقد حكومته وهذا يضع الحكومة في موقف حرج

الفلسطينيات إلى عمليات قمع وحشية دفعتهن إلى إشعال النار في الزنازين؛ فضلاً عن قراره وقف تزويد الأسرى في سجنين كبيرين بالخبز، بحجة أن الحصول على الخبز «رفاهية» لا يستحقها هؤلاء الأسرى.

بناء على رغبة «بن غفير»، سارع ممثلو اليمين الديني بسنّ قانون يسمح بمصادرة حقوق المواطنة والإقامة من كل فلسطيني من سكان القدس والداخل الفلسطيني في حال شارك في عملية للمقاومة، إلى جانب ذلك، فإن الحكومة الصهيونية تبحث حالياً عن توفير مخارج قانونية تسمح بطرد عوائل منفذي العمليات من الضفة الغربية إلى قطاع غزة.

إن قوى اليمين الديني المتطرف تدفع حكومة «نتنياهو» نحو ردود كبيرة وغير متناسبة على عمليات المقاومة ليس بفعل توجهاتها الأيديولوجية فقط؛ بل أيضاً تحت وطأة اعتباراتها السياسية؛ حيث إن قواعدها الانتخابية تطالبها بأن تطبق ما تعهدت به خلال حملاتها الانتخابية، سيما على صعيد مواجهة عمليات المقاومة.

من هنا، فإنه يتوجب على الفلسطينيين إعادة النظر في مقاربتهم الحالية للصراع، فمن الواضح أن العمليات الفردية لا يمكن أن تكون بديلاً عن التوافق على برنامج مقاومة شامل يتوافق عليه جميع الفلسطينيين يضمن تحقيق العمل المقاوم إنجازات سياسية، أو على الأقل يمس بقدرة الصهاينة على تكريس الأمر الواقع على الأرض.

صحيح أن العمليات الفردية تعكس تواصل روح المقاومة وتثبت للمحتل أن القمع لن يفضي إلى تكريس وجوده، لكن في المقابل، فإنه لا يمكن تجاهل حقيقة أن المحتل يستغل هذه العمليات في تنفيذ مخططاته، سيما على صعيد الاستيطان والتهويد، ومواصلة إحكام السيطرة على «الأقصى» وغيرها من منجزات.

صحيح أن هناك عوائق كثيرة تعترض التوافق على برنامج فلسطيني مشترك، سيما دور سلطة عباس السلبي، لكن هذا لا يحول دون تكثيف الجهود حتى تتكلل بالنجاح، لأن تحقيق هذا الهدف أمر الساعة.■

العلاقات العربية الأفريقية.. هل من عودة؟

لماذا غابت القارة الأفريقية عن منظور العالم العربي رغم التقارب الجغرافي والتاريخي والثقافي؟!

الأفروعربية تجلت في حرب أكتوبر ١٩٧٣م حيث قطعت دول أفريقية علاقاتها مع الصهاينة

تحقيق – روضة علي عبدالغفار:
صحفية مهتمة بالشأن الأفريقي

يقول المفكر الكيني علي مزروعي: إن العلاقات الأفروعربية تتجاوز مفهومها الثقافي والسياسي، لتعني روابط الدم والاتصال الجغرافي المباشر بين شبه الجزيرة العربية وأفريقيا قبل التشكل الجيولوجي للبحر الأحمر[1].

في هذا السياق، وفي حين تتغير معادلات الصراع الدولي وتشتد أوتار المنافسة على القارة السمراء؛ تبرز علاقة العالم العربي بالقارة الأفريقية، لتثير تساؤلات عديدة أبرزها: لماذا غابت القارة الأفريقية عن منظور العالم العربي رغم التقارب الجغرافي والتاريخي والثقافي؟

ومع أن التعاون العربي الأفريقي أتى ثماره في وقت مضى، وقد يفتح آفاقاً مختلفة ورحبة أمام الطرفين في الوقت الحاضر؛ فإن العلاقات العربية الأفريقية ما زالت متأخرة جداً عن ميدان المنافسة.

في هذا التحقيق، تناقش «المجتمع» العلاقات العربية الأفريقية في ظل متغيرات الصراع الدولي، والجهود العربية المشتتة في التوجه إلى القارة الأفريقية، وأبرز التحديات التي تواجه التعاون العربي الأفريقي.

تُعَد أفريقيا في سياق متغيرات الصراع الدولي ساحة تنافس شرس حول الموارد والنفوذ بين القوة المهيمنة والقوى التعديلية؛ فالولايات المتحدة الأمريكية تحاول الاحتفاظ بموقعها القيادي في العالم، بينما تسعى الصين، مثلاً، إلى الاعتراف بنفوذ لها يعادل قوتها الاقتصادية الصاعدة؛ ما يجعلهما في احتكاك وتنافس في جبهات متعددة.

ومما لا شك فيه أن الاحتكاك بين القوى يُلقي بظلاله على علاقات أفريقيا الدولية، ومنها العلاقات الأفريقية – العربية؛ باعتبار ذلك الصراع قد يحول دون بناء نموذج ناجح للتعاون العربي - الأفريقي[٢].

وتبدو خرائط اللاعبين في أفريقيا منقسمة بين فريقين:

الأول: الفريق التقليدي القائد للنظام العالمي منذ منتصف القرن الماضي ممثلاً في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول الاتحاد الأوروبي.

الثاني: اللاعبون الجدد الصاعدون نحو أدوار جديدة في النظام العالمي وأبرزهم الصين، وعلى مسافة منها تقع كل من تركيا وروسيا، وهؤلاء جميعاً يتسم أداؤهم بالحيوية والإنجاز مقارنة بالأداء العربي.

مع تصاعد الخسائر العربية في أفريقيا، فإن طبيعة التحديات المشتركة التي يواجهها الطرفان في المرحلة الحالية تتطلب نوعاً من التقارب والتعاون.

في هذا الصدد، يعتقد الصحفي الإريتري والباحث في شؤون القرن الأفريقي، **عبدالقادر محمد علي**، أن من الصعب الحديث عن توجه عربي متعدد الأطراف نتيجة لحالة الانقسام المعروفة، وقال: إنه من المُحزن الحديث عن صعوبات أمام توجه عربي إلى أفريقيا وثُلثا العرب أفارقة ونصف الدول العربية تقريباً أفريقية!

وبحسب علي، فإن هذا يؤشر إلى مدى التردي في تناول الملف الأفريقي عموماً في الدوائر العربية، رغم أن القارة الأفريقية قارة المستقبل وتختزن الكثير من الثروات الباطنية والقوى الشابة والأسواق المستقبلية، كما أن بعض مناطقها تمثل أحزمة حيوية للأمن القومي العربي ومناطق تماس يتكثف فيها التأثير المتبادل.

وفي سياق متصل، يرى المحاضر بمعهد الشرق الأوسط بجامعة سكاريا، **د. محمد سليمان الزواوي**، أن العمل العربي المشترك في حال تحققه يستطيع أن ينافس أي قوى منفردة، بالنظر إلى حجم الاستثمارات العربية والخبرات والتقارب الجغرافي، وكذلك التشابه الثقافي والاجتماعي، والقدرة على إنشاء مناطق تجارية وصناعية واستثمارية باستغلال البحار والأنهار المشتركة في عملية التصدير من أفريقيا إلى الشمال، وكذلك استغلال التطور في البنية التحتية لشبكة الطرق التي يجري إنشاؤها الآن، لتربط شمال أفريقيا بجنوبها وشرقها بغربها.

وأضاف الزواوي لـ«المجتمع» أن هناك مكاسب جمّة للتعاون العربي الأفريقي، نظراً للتقارب الجغرافي، أولها: قرب الأسواق العربية من نظيرتها الأفريقية، وثانيها: أن الساحة العربية تُعَد مُستقبلة لأعداد كبيرة من الوظائف التي يمكن أن تساهم في تقليل البطالة الأفريقية، وثالثها: أن الجوار العربي يمكنه أن يصدر التقنية إلى الأسواق الأفريقية وخبراته المكتسبة في تحديث البنية التحتية، حيث باتت التجارب العربية في هذا الصدد رائدة على مستوى العالم.

كما تستطيع الأموال العربية أن تساهم في تعزيز الصناعات الأفريقية لا سيما تلك المعتمدة على التصنيع الغذائي، مثل الشراكة العربية مع إثيوبيا في مجالات البن والشاي، ويمكن أن يمتد ذلك لمجالات تربية الماشية وتصدير اللحوم، وكذلك منتجات الألبان والصناعات القائمة عليها.

جهود مشتتة

إن التعاون الثنائي بين العرب والأفارقة متقدم على التعاون متعدد الأطراف؛ ما يعكس غياب رؤية عربية موحدة تجاه أفريقيا، حيث إن كل دولة عربية تفضل التوجه نحو أفريقيا بشكل منفرد، الأمر الذي قد يندرج ضمن إستراتيجية القوى الدولية الفاعلة في أفريقيا.

بيد أن تعثر التعاون العربي – الأفريقي على المستوى متعدد الأطراف لم يمنع الدول العربية والأفريقية من تطوير علاقات تعاون ثنائية.

ويمكن الإشارة هنا إلى الإمارات العربية المتحدة، التي تعد رابع أكبر مستثمر عالمي في أفريقيا، بعد الصين وأوروبا وأمريكا، باستثمارات قدرها ٢٥ مليار دولار، خلال المدة ما بين عامي ٢٠١٤ إلى ٢٠١٩م، تشمل مجالات: الطيران، والبنيات التحتية، وصناديق الاستثمار، في دول مثل نيجيريا، وجنوب أفريقيا، وكينيا، وأوغندا، وتركز الإمارات

على تعزيز علاقاتها الثنائية بالصومال والسودان كذلك؛ حيث أقامت مشروعات كبرى في مجال الزراعة من أجل تأمين الغذاء لمواطنيها.

أيضاً نجد المملكة العربية السعودية، التي تركز استثماراتها على قطاع الزراعة والطاقة، بحيث تستثمر في مليوني هكتار في عدد من دول القارة، وبالتالي تأمين حاجاتها الغذائية، وهي كلها استثمارات تقع في شرقي القارة، مثل السودان وإثيوبيا.

كما يتبنى المغرب إستراتيجية متعددة الأبعاد، تركز على دول منطقة غرب ووسط أفريقيا، عبر مداخل: الأمن والسياسة، والاقتصاد والتجارة والربط، والبيئة والتنمية المستدامة، وقد اكتست الإستراتيجية المغربية في أفريقيا زخماً جديداً بعد عودته إلى منظمة الاتحاد الأفريقي في عام ٢٠١٧م[٣].

وعن التنافس الإقليمي بين الدول العربية في الفترة الأخيرة، يقول د. محمد الزواوي: إنه بدلاً من وجود تحالفات متماسكة داخل العالم العربي، وجدنا استقطاباً وتنافساً على الزعامة، وذلك في ظل تراجع القوى الإقليمية التقليدية وعلى رأسها مصر، مما كان له تداعيات سلبية على العمل الجماعي العربي المشترك.

وأضاف أن هناك تنافساً على الزعامة الخليجية إلى جانب التنافس على الزعامة العربية، وهذا يجعل التوجه نحو أفريقيا امتداداً لذلك التنافس، مما يلقي بظلال سلبية على العمل العربي المشترك من ناحية وعلى الدائرة الأفريقية من ناحية أخرى.

وأكد الزواوي، في حديثه لـ«المجتمع»، أن التنافس على حلول المشكلات ذات الأبعاد الإستراتيجية مثل «سد النهضة»؛ يجعل هناك تضارباً في التوجهات ما بين توجهات تنموية وأمنية، وهذا يعطي ميزة إضافية للدول الأفريقية لاستغلال ذلك التنافس لصالحهم ومن ثم الخروج بأكبر استفادة من التنافس العربي.

وعليه؛ يرى الزواوي أن وجود رؤية عربية موحدة للقضايا الأمنية، وكذلك للملفات التنموية، من شأنه أن يعطي زخماً للتعاون العربي مع نظرائهم الأفارقة، ويجعل العلاقة مبنية على التعاون وليس التنافس، ومن ثم الخروج بمكاسب لكلا الطرفين.

الزواوي: التنافس على الزعامة الخليجية والعربية يلقي بظلال سلبية على الدائرة الأفريقية

علي: من المُحزن الحديث عن صعوبات أمام توجه عربي إلى أفريقيا وثُلثا العرب أفارقة!

الأفروعربية.. تاريخ متلاحم

يقول الرئيس الغيني الأسبق أحمد سيكوتوري: «إن دعمنا للقضايا العربية ينبع من مسألة التضامن العربي الأفريقي، ولا يعتمد على أي مكافآت مالية تُدفع لنا من قبل العرب، أود أن أقول لأولئك الذين يُحاجون بأننا نتعامل مع العرب من أجل المال: إننا شعب متدين، يؤمن بالله، ولدينا شعور عميق بالكرامة والمسؤولية».

وعلى الرغم من عمق الروابط التي تجمع بين الجانب العربي والأفريقي؛ فإنهما واجها تحديات خطيرة خلال الحقبة الاستعمارية، فقد دأبت الدول الأوروبية على تقطيع أواصر الالتقاء والتلاحم بين الكيانين العربي والأفريقي بشتى السبل.

ومن ذلك القضاء على العلاقات والمواريث المشتركة بين الفريقين وإعادة توجيه الاقتصادات العربية والأفريقية لربطها بالدول الأوروبية، ولا يخفى كذلك أن الغرب حاول خلق جذور العداء والصراع بين شعوب المنطقة، اتضح ذلك بجلاء في دول مثل السودان وموريتانيا وتنزانيا.

بيد أن تحديات ما بعد الاستعمار التي شهدت التأكيد على جملة من السياسات العامة التي التف حولها كل من العرب والأفارقة مثل محاربة الاستعمار، ومواجهة نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، أعادت وصل ما انقطع بين الطرفين.

وقد تجلت الأفروعربية في لحظات تاريخية لا تنسى؛ كما حدث في أعقاب انتصار أكتوبر ١٩٧٣م حيث قطعت معظم الدول الأفريقية علاقاتها الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني تضامناً مع الموقف المصري؛ وهو ما أدى بدوره إلى التفكير في مأسسة العلاقات العربية – الأفريقية، وهو ما أسفرت عنه القمة العربية – الأفريقية الأولى في القاهرة عام ١٩٧٧م، التي وضعت الأسس القانونية والمؤسساتية للتعاون متعدد الأطراف بين المجموعتين العربية والأفريقية[٤].

لكن الحصيلة تبدو محدودة جداً؛ فالقمم العربية – الأفريقية على مستوى رؤساء الدول انعقدت أربع مرات فقط: قمة القاهرة عام ١٩٧٧م، وقمة سرت عام ٢٠١٠م، وقمة الكويت عام ٢٠١٣م، وقمة غينيا الاستوائية عام ٢٠١٦م، وكان مقرراً أن تنعقد القمة الخامسة في السعودية عام ٢٠١٩م، لكنها لم تنعقد حتى الآن.

إن مقدار التعاون العربي الأفريقي يبقى مرهوناً بمدى رغبة الطرفين ومقدار قوة التلاحم بينهما، وأن العلاقة يجب ألا تعتمد على المساعدات المالية فحسب، بل يجب أن تقوم على قواعد إنمائية من خلال التعاون الشمولي في إقامة المشاريع

والاستثمارات الاقتصادية المتعددة، بحيث يؤدي التعاون إلى تنمية متكافئة ومتكاملة في كلا الجانبين.

غياب الإستراتيجية

يرى الصحفي الإريتري عبدالقادر محمد علي أن أحد أهم التحديات هو غياب إستراتيجية شاملة تضمن المصالح العربية، وتبني أدوات تواصل إستراتيجي عربي مع القارة السمراء، وهذا بالطبع راجع لحالة التشرذم العربي التي تحول دون التخطيط والتنسيق المشترك، وأضاف أن ما تم في السنوات الأخيرة هو نقل الصراعات العربية البينية إلى القارة الأفريقية في أكثر من منطقة.

وأكد علي، في حديثه لـ«المجتمع»، أن من أبرز التحديات غياب المقاربات العربية القادرة على منافسة نفوذ القوى الخارجية المختلفة في القارة، سواء ذات الإرث الاستعماري، أم الوافدة حديثاً كالصين؛ التي تقدم رؤية قائمة على المصلحة المشتركة والمتساوية، وتطوير البنى التحتية للدول الأفريقية مقابل القروض الصينية، وهي تلقى رواجاً على المستوى الرسمي أو الشعبي كما هو ملحوظ.

وأضاف أن قوة إقليمية كتركيا تحاول تقديم إستراتيجية شبيهة لما تقوم به الصين، في حين تقوم روسيا بالاستفادة من التهديدات الأمنية لاختراق الدول الأفريقية، فأين المبادرات العربية المنافسة؟

ويعتقد علي أن تعزيز العلاقات العربية الأفريقية يستلزم الحد الأدنى من توافق عربي على إستراتيجية مشتركة للتعاطي مع القارة، والتوسع في استخدام أدوات القوة الناعمة والوسائل الدبلوماسية في خلق رأي عام مرحب بالحضور العربي، وهي تجربة نجحت فيها تركيا نسبياً.

وأكد الصحفي الإريتري أن هذا يتضمن زيادة عدد البعثات الدبلوماسية العربية في القارة وتنشيط الأقسام الإعلامية فيها، ونسج الروابط بين المؤسسات والاتحادات الرسمية والأهلية العربية ونظيراتها الأفريقية، بما يسمح بدخول المبادرات المجتمعية والشعبية ساحة العمل التعاوني، ومخاطبة الأفارقة بلغاتهم عبر وسائل إعلام محلية قادرة على شرح وتوضيح وجهة النظر العربية في العديد من القضايا وإزالة سوء الفهم أو المفاهيم السلبية حول العرب.

وأضاف أن إفساح المجال لتوسيع المنح الدراسية للأفارقة في الدول العربية، واستثمار المساعدات العربية للقارة بتحويلها إلى مشاريع تنموية إستراتيجية؛ قادرة على ترسيخ الوجود العربي في القارة والتأثير في الوعي الأفريقي تجاه العرب.

وختاماً، تبقى الدول العربية تتكبد خسائر عدم توجهها للقارة الأفريقية، وفي ظل تغير معادلات الصراع الدولي؛ هل يدرك العالم العربي قيمة أفريقيا التي كانت تقف جنباً إلى جنب مع قضاياه في وقت من الأوقات، ويبادر بإعادة العلاقات معها؟ أم تظل الساحة الأفريقية خالية من وجود عربي موحَد؟■

الهوامش

(١) حمدي عبدالرحمن، رؤية وحدودية مغايرة للعرب والأفارقة: «أفرابيا» علي مزروعي، مجلة المستقبل العربي، ع ٤٥٣، نوفمبر ٢٠١٦، ص ١٠.

(٢) إسماعيل حمودي، واقع وتحديات التعاون العربي الأفريقي في ظل متغيرات الصراع الدولي، مركز الجزيرة للدراسات، ٥ أكتوبر ٢٠٢٢.

(٣) المرجع السابق.

(٤) حلمي شعراوي، التعاون العربي الأفريقي من التحرر الوطني إلى العولمة، المجلة العربية للعلوم السياسية، ٢٠٠٧، ص ٧٧.

قراءة في كتاب «مقدمة ابن خلدون» (13)

قوانين ابن خلدون

مرحباً بقراء مجلة «المجتمع» الغراء، التي نعتز بها ونقدر دورها، ونتمنى لها استمرار إنارة الوعي الإسلامي الوسطي الرشيد.

وقفنا في الحلقة السابقة من مقدمة ابن خلدون، رحمه اللَّه، عند ما قاله عن أخطاء المؤرخين القدامى كلهم تقريباً، وأخبارهم الواهية في أخبار التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب، وأسباب تكذيبه لهم.

يقدمها المفكر الإسلامي
د. محمد سليم العوّا(*)

أعدها للنشر: حسن القباني

يستمر ابن خلدون فيقول: «الأخبار بذلك واهية مدخولة، وهي لو كانت صحيحة النّقل لكان ذلك قادحاً فيها؛ فكيف وهي لم تنقل من وجه صحيح، وقول ابن إسحاق (يقصد راوي السيرة النبوية المشهور) في خبر يثرب والأوس والخزرج أنّ تبّعا الآخر سار إلى المشرق محمولاً على العراق وبلاد فارس، وأمّا بلاد التّرك والتّبت فلا يصحّ غزوهم إليها بوجه لما تقرّر فلا تثقنّ بما يلقى إليك من ذلك وتأمّل الأخبار، واعرضها على القوانين الصّحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه، واللّه الهادي إلى الصواب».

وهنا نقف عند جملة مهمة لابن خلدون: «واعرضها على القوانين الصحيحة»، فلم يقل: «الأخبار الصحيحة» أو «الروايات الصحيحة» أو «كتب الرحالة الموثوق بهم»، وإنما قال: «واعرضها على القوانين الصحيحة»، فهو في مقدمته وتاريخه كله يحيل الأحداث إلى العقل والواقع، ويقيس الغائب بالشاهد ويقيس الشاهد بالغائب، بقوانين وضعها مما ذكره عن البعد والمسافات والاحتياجات إلى الطعام والشراب والسلاح والجند.

ولفظ «محمولاً» بالنصب موجود في النسخ كلها، ولكن د. علي عبدالواحد وافي، اعتبره في تحقيقه من الأخطاء، لأنه صفة لقول ابن إسحاق، لكن صديقنا العزيز أ. إبراهيم شبوح تركها (محمولاً) في تحقيقه، وتركه إياها ليس بخطأ ولا كان ابن خلدون مخطئاً، فصياغته يوجد فيها حذف بلاغي؛ فهو يريد أن يقول: إن قول ابن إسحاق يجب أن يكون محمولاً على العراق وبلاد فارس، فإذا قال محمولاً فهنا حذف المقدم وهو يجب أن يكون، وإذا قال «محمولٌ» كما يريد د. وافي، رحمة اللّه عليه، فهو كلام صحيح.

إرم ذات العماد

قال ابن خلدون: «وأبعد من ذلك وأعرق في الوهم ما يتناقله المفسرون في تفسير سورة «الفجر» في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ (الفجر)، فيجعلون لفظة إرم اسماً لمدينة وصفت بأنها ذات عماد (أي أساطين)، وينقلون أنه كان لعاد بن عوص بن إرم ابنان، هما: شديد، وشداد ملكا من بعده، وهلك شديد، فخلص الملك لشداد

(*) هذه المقالات أصلها حلقات ترفع تباعاً على موقع «يوتيوب» على قناة باسم د. محمد سليم العوا، والقراءة في مقدمة ابن خلدون لا تزال مستمرة.

ودانت له ملوكهم، وسمع وصف الجنة، فقال: «لأَبنِيَنَّ مثلها»، فبنى مدينة إرم في صحارى عدن في مدة ثلاثمائة سنة، وكان عمره تسعمائة سنة، وإنها مدينة عظيمة، قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها من الزبرجد والياقوت والفضة، وفيها أصناف الشجر والأنهار المطردة، ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته، حتى إذا كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا، ذكر ذلك الطبري والثعالبي والزمخشري وغيرهم من المفسرين».

وهنا يشير ابن خلدون إلى نطاق أوسع وأخطر طاله الخطأ، وهو بعض تفاسير القرآن الكريم.

قال ابن خلدون: «وينقلون عن عبدالله بن قلابة من الصحابة أنه خرج في طلب إبلٍ له فوقع عليها، وحمل منها ما قدر عليه، وبلغ خبره إلى معاوية بن أبي سفيان، فأحضره وقص عليه، فبحث عن كعب الأحبار وسأله عن ذلك، فقال: هذه المدينة هي إرم ذات العماد، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال، يخرج في طلب إبل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة، فقال هذا والله ذلك الرجل، وهذه المدينة لم يُسمع لها خبر من يومئذٍ في شيء من بقاع الأرض، وصحارى عدن التي زعموا أنها بنيت فيها هي وسط اليمن، وما زال عمرانه متعاقباً والركاب والأدلاء تنقض طرقه من كل وجه، ولم ينقل عن هذه المدينة خبر، ولا ذكرها أحد من الإخباريين».

نقول: عبدالله بن قلابة، تابعيٍ وليس صحابياً، و«الأدلاء»: جمع

ابن خلدون يحيل الأحداث إلى العقل والواقع ويقيس الغائب بالشاهد والشاهد بالغائب بقوانين وضعها

دليل وهو من يقود الناس في الطرق، و«خال» تعني حسنة أو شامة، والإخباريون هم المؤرخون، وقديماً كانوا يطلقون على من يحكي القَصص القُصاص، وكانت درجته في الإخبار منقوصة، أما المؤرخون -وبالأخص الثقات منهم- فكانوا يطلقون عليهم «الإخباريين»، وفي العصر الحديث يمكن إطلاق لفظ الإخباريين على أهل الأخبار والإعلام من الصحفيين والمذيعين.

يقول ابن خلدون: «ولا ذكرها أحد من الإخباريين ولا من الأمم، ولو قالوا: إنها درست فيما درس من الآثار لكان أشبه، إلا أن ظاهر كلامهم أنها موجودة، وبعضهم يقول: إنها دمشق بناءً على أن قوم عاد ملكوها، وقد ينتهي الهذيان ببعضهم إلى أنها غائبة عن الحس، وإنما يعثر عليها أهل الرياضة أو السحرة، مزاعم كلها أشبه بالخرافات».

نقول: دَرَست أو دُرست، القراءتان صحيحتان، والمعنى: أنها أصبحت قديمة، و«الهذيان» هو التخريف، وأهل الرياضة المقصود بهم أهل الصوفية، الذين يبالغون في الحديث عن الرؤى والتجلي، وهنا يسخر ابن خلدون من وصول تلك الأخبار إلى درجة كبيرة من الهذيان والخرافات.

قال ابن خلدون: «والذي حمل المفسرين على ذلك، ما اقتضته صناعة الإعراب في لفظة ذات العماد، من أنها صفة إرم، وحملوا العماد على الأساطين فتعيَّن أن تكون بناءً، ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير «عادُ إرم» -على الإضافة من غير تنوين- ثم وقفوا على تلك الحكايات التي هي أشبه بالأقاصيص الموضوعة وأقرب لتفاسير سيفويه المنقولة في عداد المضحكات، وإلا فالعماد هي عماد الأخبية بل الخيام، وإن أريد بها الأساطين، فلا بدع في وصفهم بأنهم أهل بناءٍ وأساطين على العموم بما اشتهر من قوتهم لأنه بناء خاص في مدينة معينة أو غيرها، وإن أضيفت -كما في قراءة ابن الزبير- فعلى إضافة الفصيلة إلى القبيلة، كما تقول قريش كنانة وإلياس مضر وربيعة نزار، وأي ضرورة إلى هذا المحمل البعيد الذي تمحلت لتوجيهه لأمثال هذه الحكايات الواهية التي ينزه كتاب الله تعالى عن مثلها، لبعدها عن الصحة».

وسيفويه هو قاص معروف بقصص الحمق والتغفيل، ساق بعضها أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه «أخبار الحمقى والمغفلين»، وابن خلدون يريد أن يقول: إن ما ذكره البعض من أقاصيص موضوعة أقرب لقصص ذلك الرجل، المنقولة في عداد المضحكات.■

محطات إيمانية في طريق التربية..

نعمة بلوغ رمضان

وقفت أمام نافذة غرفتها تتطلع إلى القمر وقد اكتمل بدراً في هذه الليلة المباركة من ليالي شعبان، كان نوره هادئاً، صافياً ولامعاً كالفضة، لكنه ينتشر في السماء مخففاً من ظلمة الليل الحالكة، حاملاً معه تباشير الأمل والانشراح لمن يراه.

كان عالياً متألقاً وكأنه ينظر ويتطلع إلى أهل الأرض يعلن عن عبودية دائمة لا تنقطع للَّه تعالى الذي خلقه وأنارَه، وهداه وسخره، وحباه من جمال المنظر ونور الوجه ما حباه.. تذكرتْ معه أياماً مضت أطلت فيها على سمائها أهلة كثيرة كسنوات عمرها، هلال يأتي وهلال يرحل، وما بين الهلالين نفوس تأتي ونفوس ترحل كذلك، فتساءلت في نفسها: ليت شعري هل يبلغني اللَّه تعالى شهر رمضان الذي اقترب؛ لأنعم فيه بالصوم، وأسعى إلى القرب، وأفوز بليلة القدر؟ رفعت كفيها بضراعة داعية اللَّه سبحانه لها ولكل أحبابها: اللهم بلغنا رمضان.

إيمان مغازي الشرقاوي

ليسانس شريعة – ماجستير الدعوة

جامعة المدينة العالمية

إن هذا الشهر الفضيل؛ رمضان، سيد الشهور جميعاً، فقد اختاره الله تعالى وفضّله عليها، ومنحه من العطايا والهبات ما لم يعطِ شهراً غيره، فبعث فيه نبيه صلى الله عليه وسلم رسولاً إلى العالمين، وأنزل عليه وحيه في ليلة من لياليه، وجعلها خير الليالي، واختصه بفريضة الصوم التي هي ركن من أركان الإسلام، وحثَّ عباده على إحياء نهاره بالذكر والعبادة والدعاء وسائر القربات، وقيام لياليه بصلاة التراويح، فأيامه ولياليه كلها رحمة ومغفرة وعتق من النار، والعبادة فيه أيسر وأحَب إلى النفوس المؤمنة.

ورمضان سيد الشهور حيث ضاعف الله تعالى فيه أجور الصائمين العاملين، ووعدهم بدخول الجنة من باب الريان الذي لا يدخل منه أحد غيرهم، كما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يُسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون» (رواه البخاري)، فشوَّقهم إلى القيام بمقتضيات ذلك، من الصبر على لسعة الجوع وظمأ العطش، والعمل على تصفية صيامهم من الشوائب التي تكدره، والأكدار التي تشوبه، والأعمال التي تفسده؛ حتى يتعانُق صيام بطونهم مع صيام قلوبهم وجوارحهم.

ولأنه سيد الشهور، فإن القلوب فيه تلين وترق؛ فتسعى إلى صلة الأرحام، وإطعام الطعام، وتفطير الصائمين، والإحسان إلى الفقراء والمساكين، ومد يد العون لكل ضعيف يحتاج عوناً يتقوّى به على طاعة الله عز وجل.

نعمة بلوغه

إن فضائل هذا الشهر المبارك وتفضيل الله تعالى له؛ جعلت له في نفوس المؤمنين مكانة عالية ومنزلة عظيمة، يتلهفون لمجيئه، وينتظرونه من العام إلى العام، يتحرقون شوقاً لبلوغه، ويدعون الله تعالى أن يكرمهم ويبلغهم إياه وهم في عافية بدن وطهارة نفس، ولمَ لا يبلغ الشوق مداه وقد قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: «إذا دخل رمضان فُتِّحت أبواب الجنة، وغُلقت أبواب جهنم، وسُلسلت الشياطين» (رواه البخاري)؟! فاللهم بلغنا رمضان.

لمَ لا ندعو الله ونلح في الدعاء أن يبلغنا رمضان ونحن نرى ونسمع عن الكثير ممن ماتوا وانتهت آجالهم في طرفة عين، من شهداء الزلازل، و«كورونا» وغيرها من الأمراض، فلم يكتب الله لهم بلوغ رمضان الذي اقترب؛ فندعوه دعاء الصادقين الخاشعين المخلصين، راجين أن يبلغنا رمضان، وأن يمنّ علينا بصيامه وقيامه، وينعم علينا ببلوغ ليلة القدر، والفوز برحمة الله ومغفرته التي بشر بها النبي صلى الله

فضائل رمضان جعلت نفوس المؤمنين تهفو إليه تلهفاً لمقدمه وشوقاً لبلوغه

عليه وسلم الصائمين القائمين فقال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» (رواه البخاري)؟!

إن المؤمن يستغل ساعات عمره فيما يقربه إلى الله عز وجل، ويغتنم مواسم الخير ونفحات الله تعالى، لذا فهو يرجو ربه أن يبلغه شهر رمضان، وينوي خيراً حتى يحسن استقباله، فإن الطريق إلى هذا الشهر الفضيل يحتاج إلى زاد يعين السائر على سيره والوصول إلى محطته بخطى ثابتة، كما أنه يحتاج إلى همة ونشاط في التزود دون كسل أو فتور.

وحتى يصل المسافر إلى محطة رمضان بسلام نفس وعافية قلب، لا بد له أن يَحط رحاله للتزود في محطة شعبان التي هي ألصق المحطات بالشهر المبارك (رمضان) وأقربها منه، والذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ منه زاده فيصوم أكثره كما قالت عائشة رضي الله عنها: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشهر من السنة أكثر صياماً منه في شعبان» (رواه مسلم)، وسأله أسامة بن زيد رضي الله عنه: يا

الاستعداد لرمضان يحتاج لدعاء الله والاستعانة به والتجمل بالإخلاص والعزيمة

رسول الله، لم أرَكَ تصوم شهراً من الشهور ما تصوم من شعبان؟! قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم» (رواه النسائي)، فصوم بعض أيامه يمهد لصيام رمضان ويوحي بالاستعداد لاستقباله، كما أنه يذكّر المسلم بفريضة الصوم ويدرب على آدابه وأخلاقه.

الاستعداد والعزم

من كان يرجو بلوغ رمضان فعليه أن يستعد لذلك بصدق النية وعزم القلب على صيامه الصوم الحقيقي الذي لا لغو فيه ولا رفث ولا صخب، الصوم الذي يجتنب فيه الصائم أكل الحرام، ويحرص معه على أداء الحقوق إلى أهلها، والتخلق بأخلاق الصيام، كالصبر والرحمة والجود والعفو والإحسان، فكم من صائم قد بلغ رمضان ظاهراً وهو في الحقيقة لم يبلغه، وفي مثله يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورُبَّ قائم ليس له من قيامه إلا السهر» (رواه النسائي).

والاستعداد لرمضان يحتاج منا إلى

حتى يصل المسافر لمحطة رمضان بسلام لا بد له أن يَحط رحاله للتزود في شعبان

دعاء الله عز وجل والاستعانة به، وأن نتجمل بالصدق والإخلاص والعزيمة، ونتحلى بالهمة العالية والسعي إلى معالي الأمور؛ لذا فإن علينا قبل بلوغ رمضان أن نستعد له استعداد المحبين، وذلك يكون بالتوبة النصوح التي تخرجنا من ذنوبنا وتعيدنا إلى ربنا، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١)، وأن نعقد العزم صادقين على أن يكون صومنا أفضل مما سبق، وعملنا أزكى وأحسن.

ولنغتنم الفرصة قبل فواتها، ونستثمر أعمارنا قبل انقضائها، فهناك من يتمنى العمل فلا ينال مُناه، وقد أخبرنا الله تعالى بذلك فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون).

فاللهم لا تحرمنا نعمة بلوغ رمضان.■

عبده دسوقي
باحث في التاريخ الحديث

مصلحون رحلوا في مارس..

الشايع وزبير ومحمود

الإصلاح بين الناس عبادة عظيمة يحبها الله سبحانه وتعالى، والمصلح هو ذلك الإنسان الذي يبذل جهده وماله من أجل أن يعصم الله به دماء الناس ويحافظ على حياتهم ويبصر طريقهم، وينشد الخير لهم، ويسعى على نفعهم، ويعمل على تحصين المجتمع الإسلامي وحفظ مبادئه وقيمه.

وفيما يلي نتعرف على سير بعض المصلحين الذين رحلوا في مارس:

عبداللطيف الشايع.. والد اليتامى والفقراء

في منطقة المرقاب بمدينة الكويت، ولد العم عبداللطيف علي حمود أحمد الشايع، عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م، لإحدى عوائل الأساعدة المقيمين في دولة الكويت، في أسرة انحدرت من بلدة الزلفى بمنطقة نجد.

عمل والده بالتجارة، وأسس شركة نشطت في التجارة مع الهند؛ ما أكسبه حب التجارة منذ الصغر، كما كان والده أحد القائمين على أعمال البر والخير؛ وهو ما أصقله وحببه في هذا الأمر أيضاً، والتحق بالمدرسة المباركية، ومارس التجارة منذ الصغر، واستمر في هذا العمل حتى وفاته.

كان العم عبداللطيف نموذجاً من نماذج العمل الخيري حتى لقب بـ«والد اليتامى والفقراء» وعرف بين الناس بذلك؛ وانتخب عضواً في المجلس البلدي عام ١٩٥٢م، وكان أيضاً عضواً في اللجنة السابعة للبيوت المتضررة من كثرة هطل الأمطار في المرقاب عام ١٩٥٤م، وعضواً في مجلس الأوقاف عام ١٩٥٥م، وعضواً في مجلس المعارف عام ١٩٦٠م، كما كان أحد مؤسسي الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية.

امتلك العم عبداللطيف قلباً متسامحاً مع الحياة والناس، وكان أخاً صادقاً مع الجميع، ومواسياً كريماً، وكانت مودة الناس لديه فريضة وصدقة، وقد منحه الله حسن التأني والاعتدال والتوسط في كل أمور حياته، وعمل على تربية أبنائه تربية صالحة؛ فكان لهم خير قدوة وقيادة.

كان حريصاً على التعمق في أصول الدين واللغة والشعر، ورافق الكثير من علماء الإسلام وجالسهم، وله جهود كبيرة مع إخوانه في جمعية الإصلاح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذود عن الإسلام.

وكم زار كبار المسؤولين في الدولة مع إخوانه من جمعية الإصلاح سعياً لترسيخ قواعد الدين والأخلاق والقيم في المجتمع الكويتي، والحث على التمسك بالدين، فترك بصمات مؤثرة في نفوس الجميع حتى رحل يوم الخميس ٢ صفر١٤٢٧هـ/ ٢ مارس ٢٠٠٦م عن عمر ناهز ٨٥ عاماً.■

كان نموذجاً من نماذج العمل الخيري حتى لقب بوالد اليتامى والفقراء

علي عبدالحليم محمود.. عاشق التربية

يعد واحداً من مؤسسي النظرية التربوية، وكتاباته تعد تأصيلاً لقواعد التربية الإسلامية وأساليبها، إنه د. علي عبدالحليم محمود الذي ولد بمدينة طهطا بمحافظة سوهاج بصعيد مصر عام ١٩٢٨م، ونشأ في أسرة أغلبها من العاملين بالأزهر الشريف بمن فيهم والده.

حفظ القرآن صغيراً، والتحق بالأزهر بعدما انتقل للقاهرة مع والده عام ١٩٤٢م حتى تخرج في كلية اللغة العربية؛ ما شجعه أن يكمل دراسته؛ فحصل على الدبلوم في التربية وعلم النفس من كلية التربية عام ١٩٥٦م، والدبلوم في التخطيط والمتابعة

محمد بن عمر زبير.. من رواد الاقتصاد الإسلامي

ولد د. محمد عمر زبير في مدينة جدة بالسعودية عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، وأحب العلم منذ صغره حتى استطاع أن يتخرج في الجامعة ويحصل على شهادة الدكتوراة في الاقتصاد من جامعة كونيتيكت بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

بعد تخرجه عمل خبيراً بالهيئة المركزية للتخطيط عام ١٩٦٥م، والتحق بسلك التدريس في جامعة المؤسس عبدالعزيز بكلية الاقتصاد والإدارة، قبل أن يُختار عميداً لها فأميناً عاماً للجامعة فوكيلاً لها، إلى أن عُين مديراً للجامعة عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

نشط د. زبير في العمل الإسلامي، حتى اختير رئيساً للجنة العلمية بالمعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية بجدة، وعضواً مؤسساً بالجمعية الدولية للاقتصاد الإسلامي في لندن ثم رئيساً لها.

كما شارك بصفة «خبير» في دورات مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وساهم في الندوات التي يعقدها الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، وعمل عضواً باللجنة الخاصة لتقييم أداء البنك الإسلامي للتنمية.

كانت له عناية فائقة بالاقتصاد الإسلامي، منذ بدايات تأسيسه والتنظير له؛ فرعى أول مؤتمر عالمي للاقتصاد الإسلامي عقد في مكة المكرمة عام ١٣٩٦هـ، كما شجع على البحث والنشر في هذا المجال، وألف كتاباً بعنوان «دور الدولة في تحقيق أهداف الاقتصاد الإسلامي».

منحه البنك الإسلامي للتنمية بجدة جائزة الاقتصاد الإسلامي للعام ١٤١٥هـ، تقديراً لجهوده الرائدة ومساعيه الجادة في سبيل تطوير علم الاقتصاد الإسلامي الحديث.

كان يتصف بصفات القادة والزعماء، وكان صاحب كلمة مسموعة وحكم رشيد؛ لذا تميز بالإصلاح بين الجماعات والفصائل الإسلامية، كالأفغانية والجزائرية والسودانية والفلسطينية، وكان مطلعاً على شؤون هذه الجماعات؛ سياسياً ومحلياً.

كانت له عناية بالاقتصاد الإسلامي منذ تأسيسه

كان رحيماً بالأمة، حسن الشفاعة، مجلاً للعلماء، يساعد المحتاج، ما قدر عليه، متواضعاً، يتردد على الحرم، حافظاً للقرآن، مكثراً من الذكر.

توفي يوم الأحد ٥ شعبان ١٤٤٢ هـ/ ١٨ مارس ٢٠٢١م، وهو يصلي الظهر بالمسجد المجاور لمنزله بحي الأمير فواز الجنوبي في مدينة جدة.■

في مجال التعليم نظام الدراسة المطولة نسبياً عام ١٩٦١م، ثم درس في المعهد العالي للجامعة العربية حتى عام ١٩٦٢م.

عمل في «مؤتمر التعليم الإسلامي الأول» الذي عقد في مكة تحت إشراف جامعة الملك عبدالعزيز، قبل أن ينتقل للكويت للعمل أستاذاً في كلية المعلمين عام ١٩٧٠م وبقي بها عاماً واحداً.

تعرف على الشيخ حسن البنا عن طريق والده الشيخ عبدالحليم في شعبة شبرا وروض الفرج وهو صغير، ثم التحق بمدرسة الدعاة التابعة للإخوان عام ١٩٤٥م، ومن وقتها أصبح أحد المربين في الجماعة، وقد حاول السفر لحرب فلسطين عام ١٩٤٨م إلا أن والده رفض.

تعرض للاعتقال عدة مرات، ومنعت كتبه من النشر كثيراً، بل صادرت السلطات العديد منها في أوقات مختلفة، ومع ذلك تركا تراثاً تربوياً عظيماً، ويعدُّ كتابه «وسائل التربية عند الإخوان المسلمين.. دراسة تحليلية تاريخية» من أشهر كتبه وأوسعها انتشاراً.

وله من المؤلفات الكثير، مثل «منهج التربية عند الإخوان المسلمين»، و«التربية الاجتماعية الإسلامية»، و«المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي»، و«ثقافة الطفل العربي»، و«التربية الإسلامية في المجتمع»، و«مشكلات الشباب والفتيات»، و«فن تربية الأولاد في الإسلام»، و«التربية الدينية الغائبة».. وغيرها.

ورغم انتشار مؤلفاته، فإنه كان قليل الظهور، وظل كذلك حتى توفاه الله يوم الإثنين ٨ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ/ ١٠ مارس ٢٠١٤م، ودفن في مسقط رأسه طهطا بسوهاج بمصر.■

أحد مؤسسي النظرية التربوية فكتاباته تأصيل لقواعد التربية الإسلامية

المصادر

1- من ذاكرة التاريخ: الحاج الفاضل عبداللطيف العلي الحمود الشائع، https://bit.ly/3l4lMWq.

2- محمد خير رمضان يوسف: توفي رجل الخير والوجاهة والإحسان، 19 مارس 2021م، https://bit.ly/3X00rL4، وانظر: مجلة «المجتمع» الكويتية: https://bit.ly/3l6lsGH.

3- المستشار عبدالله العقيل: د. علي عبدالحليم محمود.. العالم والمربي، 26 يوليو 2014م، https://bit.ly/3Hq7hUt.

الشريعة الإسلامية.. بين المصطلح والتطبيق

د. حـــازم علي ماهـــر
باحث في دراسات الشريعة وتطبيقاتها

يحتوي مفهوم تطبيق الشريعة الإسلامية على مفردتين: التطبيق، والشريعة الإسلامية، أما التطبيق فهو مصدر للفعل «طَبَّقَ»، وهذا الفعل له معانٍ كثيرة في المعاجم اللغوية خلاصتها -فيما يخص موضوعنا- أنه يأتي بمعنى غَطَّى، وعَمَّ، وقد طابَقْت بين الشَّيْئَيْن: إذا جَعَلْتَهما على حَذْوٍ واحد، وطابَقَت المَرْأةُ زَوْجَها: إذا واتَتْه على أموره كلِّها، وجاء في «المعجم الوسيط»: إن «التطبيق» إخضاع المسائل والقضايا لقاعدة علمية أو قانونية أو نحوها، بينما في «معجم مصطلحات أصول الفقه» ورد التطبيق بمعنى التنزيل والتنفيذ والتحقيق.

أما الشريعة الإسلامية فهي: «كل ما شرعه الله للمسلمين من دين؛ سواء أكان بالقرآن نفسه، أم بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير؛ فهي لهذا تشمل أصول الدين، أي ما يتعلق بالله وصفاته والدار الآخرة، وغير ذلك كله من بحوث علم التوحيد أو علم الكلام، كما تشمل كل ما يتعلق بتهذيب المرء لنفسه وأهله، وما يجب أن تكون عليه العلاقات الاجتماعية، والمثل الأعلى الذي عليه أن يعمل لبلوغه أو مقاربته، والطرق التي يريد بها أن يصل إلى هذا المثل أو الغاية من الحياة، وهذا كله هو ما يعرف باسم «علم الأخلاق»، ومع هذا أو ذاك، تشمل الشريعة أحكام الله تعالى لكل من أعمالنا، من حل وحرمة وكراهة، وندب، وإباحة» (د. محمد يوسف موسى، المدخل لدراسة الفقه الإسلامي).

التمييز بين الشريعة وتطبيقها ضروري لعدم الخلط بين قداستها وتنزيلها على الواقع

وعلى هذا، فإن مفهوم تطبيق الشريعة الإسلامية يُقصد به، بصفة عامة: «تنزيل (أو تعميم أو تنفيذ أو إنفاذ) ما سنَّه الله تعالى من أحكام سواء في القرآن الكريم، أو أبلغها رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم على حياة الإنسان وعلاقاته المختلفة بربه وبالناس وبالكون».

بين الشريعة وتطبيقها

وهذا التمييز بين مصطلح الشريعة الإسلامية ومفهوم تطبيق الشريعة الإسلامية تمييز ضروري؛ نظراً إلى أن البعض يخلط بين قداسة الشريعة الإسلامية ذات المصدر الإلهي، وتنزيلها على الواقع، وهو عمل بشري اجتهادي، قد يخطئ وقد يصيب، بحسب القدرة على فقه الواقع وفقه النص، والقدرة على المواءمة بينهما بحيث تتحقق مقاصد الشريعة الإسلامية بتحقيق مصالح الأنام الضرورية والحاجية والتحسينية.

وهو -أي الفرق بين الشريعة وتطبيقها- هو ذاته الفرق بين الدين والتدين، فالأول مطلق؛ لأنه وضع إلهي، والثاني نسبي؛ لأنه كسب بشري، مما يفرض الانتباه إلى التمييز فيما بينهما في الخصائص والأحكام، ويستلزم كذلك أن يكون التعامل مع كل منهما على نحو مختلف يراعي

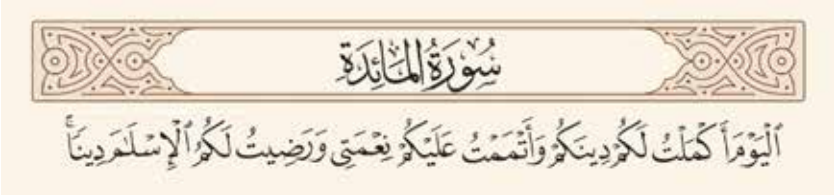

تطبيقها ليس عملاً آلياً ينظر إلى أحكامها على أنها مكتملة باكتمال الدين

لو لم يكن هناك اجتهاد لاستنباط أحكام الحوادث الجديدة لتوقفت الشريعة وما وسعت كل شيء

الاختلاف فلا يخلط بينهما مما قد يوقع الناس في حرج وقد يعسر عليهم كل يسير!

فتطبيق الشريعة الإسلامية ليس عملاً آلياً ينظر إلى أحكام الشريعة الإسلامية على أنها أحكام مكتملة باكتمال الدين، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)، وليس على المسلمين سوى قبولها جملة وتطبيقها فوراً، أو رفضها جملة؛ فيتحملون وزر رفضهم وعدم تحكيمهم لشريعة ربهم، بل إن تطبيق الشريعة هو عمل يحتاج إلى اجتهاد بشري واسع، سواء كان هذا الاجتهاد في فهم النصوص أم في فقه الواقع الذي يراد تنزيل تلك النصوص عليه، وفي وضع منهج للتنزيل يتناسب مع كون قضية تطبيق الشريعة الإسلامية هي قضية إعادة لبناء الحضارة الإسلامية وليست مجرد إنفاذ لبعض النصوص الجزئية والفرعية للشريعة الإسلامية، على سبيل المثال.

وأحكام الشريعة لا تنطبق إلا بعد دراسة شاملة لواقع المجتمع، أو ما يمكن التعبير عنه بـ«السياق المجتمعي للتطبيق» أو «بيئة التطبيق»، لا سيما أن النصوص متناهية بينما أحداث الواقع المتجددة غير متناهية، «فلو لم يكن هناك اجتهاد لاستنباط أحكام لهذه الحوادث الجديدة، لوقفت الشريعة وما وسعت كل شيء» (محمد مصطفى شلبي، المدخل في الفقه الإسلامي).

الحاجة للاجتهاد

وتزداد الحاجة إلى الاجتهاد حين تكون حركة الواقع المتسارعة لم تصاحبها حركة موازية في الاجتهاد والتنزيل؛ أي إذا تحرك الواقع في ظل إقصاء لمرجعية الشريعة الإسلامية مثلما حدث في مصر في القرنين الماضيين، حيث طُبقت قوانين مستمدة من شرائع أجنبية، بينما تغير الواقع بشكل غير مسبوق في التاريخ الإسلامي، بل في التاريخ البشري كله.

ويضاف إلى ذلك أن «الشريعة هي أحكام كلية مجردة، والأوضاع الواقعية أوضاع عينية مستأنفة، وهو ما يستلزم اجتهاداً يُهيِّئ به الحكم الشرعي المجرد ليجري على الوضع الواقعي الذي يشمله محققاً للمقاصد التي من أجلها شرع دون غيره من الأوضاع التي قد تكون شديدة الشبه به، التي لو أجري عليها لتعطلت مقاصده، وأصاب الناس حرجٌ من جرّاء ذلك» (د. عبدالمجيد النجار، المقتضيات المنهجية لتطبيق الشريعة).

ومن ثَمَّ فإن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية يستلزم اجتهاداً جديداً سواء في فهمها أم في تنزيلها، بما يشبه ما تحتاجه عملية الإفتاء بها؛ فالإفتاء ليس من شروطه معرفة النص مجرداً فحسب، بل يُشترط فيه كذلك فقه الواقع، وفقه تنزيل النص على الواقع، وكذلك اعتبار المآل، وسد الذرائع أو فتحها، بحسب ما يحقق من مصالح معتبرة شرعاً، وما يتطلبه ذلك من فقه الأولويات والموازنات، وما يجري على الإفتاء يجري من باب أَوْلَى على عملية الاجتهاد ككل.

تطبيق أحكام الشريعة يستلزم اجتهاداً جديداً سواء في فهمها أم في تنزيلها

بل إن الأمر أكبر من ذلك؛ فالاجتهاد ينبغي أن يمتد كذلك إلى العمل على إعادة تشكيل الواقع ليتوافق مع الشريعة، وهذا الأمر ضرورته لا تخفى على أحد، لأن من شأن الاستهانة به وعدم إعطائه أولوية قصوى في عملية التطبيق، أن يُنفِّر الناس من تطبيق الشريعة فيردونها، ولذلك نجد أن الإمام ابن القيم يقول في كتابه «إعلام الموقعين»: «فالواجب شيء والواقع شيء، والفقيه من يطبق بين الواقع والواجب، وينفذ الواجب بحسب استطاعته لا من يُلقي العداوة بين الواجب والواقع، فلكل زمان حكم، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم».

وقد نبه إلى الأمر نفسه كذلك أستاذنا د. أحمد كمال أبو المجد، في كتابه «رؤية إسلامية معاصرة.. إعلان مبادئ»، حين قرر أن نقل المجتمعات المعاصرة إلى الدخول من جديد تحت لواء تشريع الإسلام في تنظيمه الشامل لحياة الناس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مع طول البعد عن هذا التشريع، أو غلبة انحراف الناس عنه، لا يعني إلغاء الأنظمة والتشريعات المعمول بها قبل إعداد البديل الإسلامي لها، كما أنه يقتضي من المشرِّعين والمجتهدين وأولي الأمر تقرير أحكام ونظم مؤقتة قائمة على قاعدة الضرورة أو قاعدة «عموم البلوى» التي قررها علماء المسلمين، وذلك رفعاً للحرج عن الناس، وتدرجاً في الأخذ من جديد بأحكام الإسلام، وهو ليس تدرجاً في التشريع، وإنما هو تدرج في نقل البيان إلى الناس.■

إجابات واقعية لتساؤلات أطفالنا عن الموت

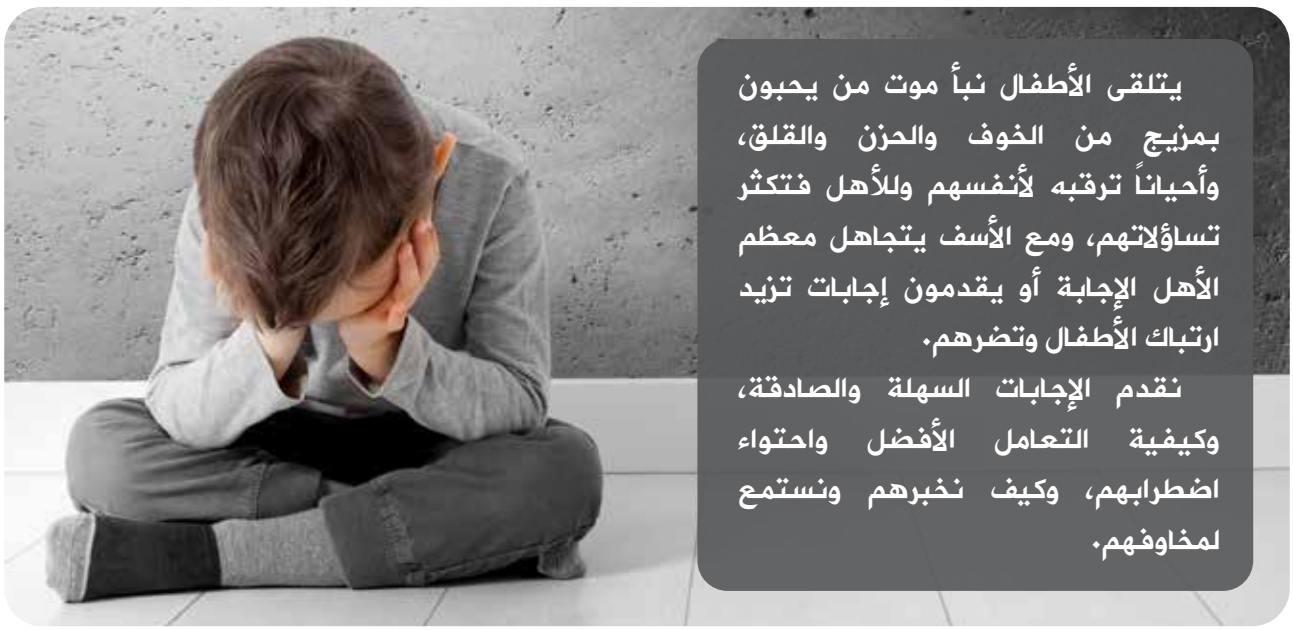

يتلقى الأطفال نبأ موت من يحبون بمزيج من الخوف والحزن والقلق، وأحياناً ترقبه لأنفسهم وللأهل فتكثر تساؤلاتهم، ومع الأسف يتجاهل معظم الأهل الإجابة أو يقدمون إجابات تزيد ارتباك الأطفال وتضرهم.

نقدم الإجابات السهلة والصادقة، وكيفية التعامل الأفضل واحتواء اضطرابهم، وكيف نخبرهم ونستمع لمخاوفهم.

نجـــلاء محفـــوظ

كاتبة اجتماعية - نائبة مدير تحرير «الأهرام»

نحذر من الحماية الزائدة للطفل بإخفاء خبر موت من يحب عنه حتى لا نضره؛ لأنه سيعرف ويُصدم وقد يفقد الثقة بالأهل.

ونوصي أن يخبره أقرب إنسان له، ويتكلم معه على انفراد بكلام قليل وبهدوء واحترام لمشاعره؛ فلا يقل له: لا تبك أنت كبير، أو الميت سيحزن؛ فالرسولَ صلوات الله وسلامه عليه بكى لوفاة ابنه، وليتركه يبكي ويتكلم عن حزنه أو غضبه ولا يقاطعه؛ فالكبت أسوأ نفسياً، ويخبره أنه أيضاً حزين وسيصبر ليقينه بأن الله تعالى اختار الأفضل للميت، وأنه سبحانه يمنحنا القوة، والحياة ستستمر، وعليه الانشغال بهواياته وبما يسعده؛ وهذا ليس خيانة للميت، فهو أيضاً مات من أحبه وواصل حياته، وهذا هو الصواب.

ويخبره أننا سنجتمع، إن شاء الله تعالى، في الجنة، ولننشغل بحياتنا بفعل الأفضل ونسعد بها ونعط كل شيء حقه، ويذكر الحديث الشريف: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وأن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له».

إسعاد الميت

وليخبره أن الاستسلام للحزن سيؤذينا، والأفضل إسعاد الميت بالدعاء والصدقة الجارية ثم فعل ما يفيدنا وسيسعد لأجلنا؛ لأنه يحبنا وسنحبه دوماً، ونحن لا نحزن عليه؛ بل نحزن فقط لأننا نفتقده، لكن لدينا ذكرياتنا معه وسنتحدث عنه ولن ننساه أبداً، وتعالٍ احتضنِي عندما تشتاق إليه لنقضي وقتاً جميلاً.

احذر أن تنهار أمام الطفل فيفقد الشعور بالأمان أو تبدو غير متأثر فيحزن

ويمكن أن يسأله: ماذا تعرف عن الموت؟ قبل أن يتكلم؛ فقد يقول كلاماً خاطئاً فيصوبه أو يضيف لمعلوماته وفقاً لعمره ولاستيعابه، ولا يكذب عليه فيقول: إنه سافر مثلاً.. وليتماسك ولا يجعله يراه منهاراً؛ حتى لا يفقد الطفل الشعور بالأمان، ولا يبالغ وكأنه غير حزين فسيشعر بحزنه.

ولنعرف له حقيقة الموت بأنه انتقال لمكان أجمل، وهي الحياة الدائمة، والله وحده يحدد وقت الانتقال، والموت يكون جميلاً جداً لمن كثرت حسناته، واستغفر من سيئاته؛ فالله يحبه، وفي أحسن وقت له ينتقل لحياة أفضل؛ فما بعد الموت مكافأة جميلة للمحسن وعقاب للمسيء؛ كمكافأة أفضل المتفوقين بالمدرسة والعكس للمسيء.

مع ملاحظة رد فعله؛ فعندما يريد الاستماع للمزيد نمنحه الأكثر، وإذا لم

يرغب فلنتوقف ونتركه ولا نجبره على الاستماع، ولنعاود الحديث لاحقاً مع إنهاء الكلام بابتسامة وليس بتجديد الحزن للمتكلم.

وليقل له: من يمت والله عز وجل راض عنه فهو سعيد ولا يرغب بالعودة للحيَاة؛ لأنه في مكان أفضل ومطمئن على من يحبهم في الدنيا، ويثق أن الله تعالى يحفظهم وسيسعدهم، ولنفعل ذلك من أجله أيضاً ونحن مطمئنون عليه ونشتاق إليه فقط.

مهم ألا نتكلم عن الميت بحزنٍ أمامه؛ حتى لا نكون كمن نقول شيئاً ونفعل عكسه؛ فهذا يؤذيه.

ومن الخطأ السماح للطفل بتوديع الميت، وأحياناً إجباره على تقبيله، وحضور العزاء، ويجب تركه عند من يحب صحبتهم عندئذ، والأسوأ مشاهدة نزول القبر؛ فعلينا أن نرفض ذلك، ونقول له: غالبية الكبار يتعبون من هذه اللحظات، وإذا تأثر نفسياً وأهمل مذاكرته، وساءت أموره؛ فيجب إخباره بأن الأفضل كان عدم حضوره كل ذلك وهو سيتجاوزه، ولا نتكلم عن المذاكرة فقد حتى لا يقول لنفسه: الكلام من أجل المذاكرة فقط؛ فنُضيع شعوره بالحب والاهتمام؛ نضخم له الأمر، ولا يزيد الكلام عن دقائق قليلة، ولا نتوقع نتائج سريعة، فقد يستغرق أسابيع وسيتعافى بمشيئة الله.

ولشرح الدفن نقول: إذا وضعنا في علبة شيئاً غالياً؛ فالقيمة داخل العلبة وليس خارجها، والجسم هو العلبة والروح داخلها ستعيش بعد الموت النعيم في الجنة بفضل الله تعالى.

لا تخف

لننتبه؛ فالكلام الكثير يمنعه من التركيز والفهم، والأخطر شعوره بالإجبار والضغط عليه، والأسوأ أن يشعر أننا غير مقتنعين ونحاول إقناعه، وسيجعله يشعر بمصيبة أصابته، وكنفس بشرية -ولو دون قصد- سيبحث عن الاهتمام الزائد بالكلام مجدداً عن الموت.

يجب التنبه: هل يكرر السؤال عن الموت كثيراً أم لا؟ وماذا يفعل بعد

من الخطأ السماح للطفل بتوديع الميت أو حضور العزاء ويفضل تركه عند أصحابه

اتركه يحكي مشاعره ولا تقاطعه مهما كانت غير منطقية ولا تسخر منه أبداً

الإجابة؟ هل يواصل حياته العادية أم يرتبك؟ وعندما يسأل هل يكون خائفاً أم فضولياً؟ هل يريد المبالغة للفوز باهتمام أكبر؟ وإذا سأل وهو يبكي فلا نبالغ بالاحتضان ولنجب بهدوء، ولنطمئن ما دام يواصل حياته بشكل طبيعي في الحضانة أو المدرسة والبيت.

وعلينا ألا ننفعل أو نخاف عندما يسأل كثيراً؛ حتى لا يخاف ويضطرب، ولاحظ؛ هل يسأل عندما تعاقبه ليتهرب من العقاب؟ عندئذ قل: ما العلاقة بين خطئك والموت؟ حتى لا يستغلك، ولا تعلمه التهرب من تحمل نتائج أخطائه ونعاقبه؛ فلا شيء يبرر الخطأ أو يجعله يفلت من العقاب.

أما إذا كان لا يستطيع النوم جيداً ويرى كوابيس أو اضطرب كثيراً؛ فأخبره أنك تعرف أنه يعاني ويعيش أياماً صعبة لكنها ستمر، ولا تقل: بسيطة أو لا تستحق، ثم قل: تذكر أن الشيطان عدوك وهو يضخم الأمر فاستعذ بالله، وإن لم تستطع النوم قم وافعل أي شيء يسعدك، وقل له: الشيطان يستغل ضعفك فاهزمه ولا تعطه الفرصة أبداً، واجعله يحكي عن مشاعره ولا تقاطعه مهما كانت غير منطقية، ولا تسخر منه أبداً، ولا تخبر إخوته بها، واربت عليه، وقم بطمأنته وبدّد مخاوفه.

ليست النهاية

إذا مرض الميت وعانى طويلاً قبل موته؛ فلنقل للطفل: نقدر حزنك، لكنه ارتاح وبدأ حياة جميلة بلا أي متاعب، وسيعوضه الله تعالى عن كل ما عانى فاطمئن.

وإذا كان الميت صغير السن فلنخبره أن الموت لا يفرّق بين صغير وكبير، وعلينا أن نعيش بلا خوف من الموت، فالله سبحانه أرحم الراحمين، ونحسن الطاعة لنفوز بحب الله لنا وبالسعادة في الدارين، ونطمئن فهو سبحانه يساعدنا على التعافي متى رغبنا بذلك، والموت ليس نهاية بل بداية أجمل؛ فالدنيا مثل عام دراسي به أنشطة ودروس ورحلات ثم اختبار ليتحدد النجاح أو الرسوب؛ فلنجتهد للفوز بالدارين معاً، فالنجاح الحقيقي يكون بهما سوياً.■

ضعف شخصية زوجي جعلني أسأم حياتي

د. يحيى عثمان
استشاري تربوي وعلاقات أسرية
مستشار البحوث بمجلس الوزراء سابقاً
y3thman1@hotmail.com

أستاذي الكريم، تحية تقدير لباب «مستشارك» ولمجلة «المجتمع» الموقرة.

نشأت في بيت يمثل أعتى دكتاتوريات العالم بسبب والدي والدتي؛ فوالدي، رحمه الله، كان معتداً بذاته دون غرور، فقد كان أباً متسلطاً رغم حنيته وكرمه الذي يصل حد البزخ وحبه المفرط وحرصه على مصلحة زوجته وأولاده، لكنه من منطلق ما يراه هو -وهو فقط- ومن منطلق أنه الأعلم بما يصلحنا كان يختار لنا كل شيء من أول الملابس حتى تخصص الجامعة، أما أمي فكانت سيدة منسحبة لا تعلم في أي مناقشة غير «حاضر».

في الجامعة، رغم أنني ملتزمة بالزي الشرعي، تعرفت على بعض الفتيات اللائي يطلق عليهن متحررات، وما وثق علاقتي بهن هو تبنيهن لما يعرف بـ«النسوية»، كان حديثي معهن عن المساواة بين الجنسين والتساؤل حول سبب تسلُّط الرجل وخنوع المرأة.. يشفي غليلي من أبي! كانت فكرة الزواج -مما رأيته من أبي- تؤرقني خوفاً من صورة العبودية التي تنتظرني.

توفي أبي، رحمة الله عليه، وكانت الكارثة.. أم لا تعرف من أمر الحياة غير طاعة زوجها، وأولاد لم يتعودوا على إدارة وممارسة أمورهم إلا من خلال توجهات والد حكيم، نعم كم أدركنا حكمته بعد وفاته، لكنه لم يورثنا منها شيئاً!

تخرجت وعملت ومارست الحياة الطبيعية، واكتسبت خبرات ومعارف عدة، والأهم إدارة بيتنا (أمي وإخوتي)، تقدم لي بعض الشباب، لكني كنت سرعان ما أعتذر عندما أستشعر أن يمارس دوره كرجل!

نعم كنت أبحث عن زوج خاص؛ أكون حرة لا يأمرني، ولا يسألني، لا أشعر تجاهه بأي نقص، ولا ينظر تجاهي بأي نظرة استعلاء لأنه رجل وأنا أنثى.

شاء الله تعالى أن ينتقل زميل لنا من إدارة أخرى لعدم حاجتهم إليه، مهذب أنيق، لكن أداءه ضعيف، وشيع عنه أنه غني وليس محتاجاً للوظيفة، ولاحظت أنه يطيل النظر إليَّ ولكن إذا ما نظرت إليه فإنه سرعان ما ينظر إلى الأرض في خجل وتضطرب تصرفاته، ثم فاجأتني رئيسة القسم: ما رأيك في أحمد؟ وأردفت أن والدته صديقتها، وقد عبَّر لها عن إعجابه بي، وطلب منها أن أعرف رأيك، لأنه يخجل أن يحدثك مباشرة! (حقيقة شعرت بالزهو)، ثم أضافت كثيراً من المعلومات التي تحلم بها أي فتاة، لكنني لم أهتم؛ ما أثار إعجابي هو خجله، وتذكرت اضطرابه عندما أنظر إليه وكأنه طفل ضبطته أمه يعبث ولا يعرف

الأب كان معتداً بذاته دون غرور لكنه متسلط رغم حنيته وكرمه

علاقتي بزوجي تجاوزت كل الأفكار النسوية وكم كنت أشعر بالزهو من شخصيته الطيعة

كيف يبرر تصرفه!

تزوجت أحمد وهو الابن الوحيد لأمه التي ترمَّلت وعمره سنتان، وخوفاً عليه لم تتزوج وكانت ميسورة الحال، فتفرغت له وأحاطته بالحب والرعاية، حتى إنها حولته إلى التعليم المنزلي لأن أحد زملائه ضربه وهو في المرحلة الابتدائية، أما في الجامعة فكانت توصله وتنتظره لتعود به، خبرات أحمد خارج نطاق والدته توقفت على آخر يوم كان في المدرسة الابتدائية، هو مجرد جوارح لعقل أمه، من أول لقاء كنت قد قررت الزواج به، فهو غايتي المنشودة.

أنا التي أدير الحوار، وإن أردت معرفة رأيه في أي موضوع فدائماً رأيه «كما تودين»! كم كنت سعيدة بدوري كزوج وزوجة! لقد تجاوزت علاقتي بأحمد كل الأفكار النسوية، وكم كنت أشعر بالزهو من شخصية أحمد الطيعة وأنه لا دور له في حياتي إلا في الإنفاق والعلاقة الحميمية، وأصدقك القول: كنت في بداية علاقتنا الزوجية أشعر بالانكسار لرغبتي في اللقاء، وأعتبر ذلك ضعفاً أنثوياً!

مرت الشهور الأولى وأنا مستمتعة بممارستي لدوري كمسؤولة الأسرة، الآمرة الناهية، وكم كنت معجبة بدور زوجي على هامش البيت.

الآن وقد مر ثلاث سنوات على زواجنا ولم يحدث حمل رغم أن تحليلاتنا طيبة، والمشكلة ليست في ذلك، لكنني مللت وسئمت.. نعم سئمت القيام بدور الزوج والزوجة، وسئمت القيام بدور الأم المسؤولة عن رضيع في السابعة والعشرين من عمره!

لقد اكتشفت أنني أنثى تحتاج إلى رجل تحتمي به ولا يحتمي بها، رجل حكيم يكون رباً لأسرتها يستشيرها ولا يقهرها، رجل لا مجرد ذَكَر.. حتى اللقاء الحميمي فقدت متعته، لقد اشتقت لقوامة أبي دون تسلط، اشتقت أن أكون زوجة تشارك زوجها في إدارة أسرتهما وتتبعه إن حزم أمراً واتخذ قراراً.

التحليل

المشكلة تتضمن عدة محاور:

١- التربية والحب المرضي:

هل يمكن أن يتحول حبنا لأولادنا وحرصنا عليهم إلى سبب في فشلهم؟ نعم، إن ثمرة التربية يجب أن تكون أولاداً قادرين على مكابدة الحياة، وتحقيق أهدافهم بطريقة مشروعة، من خلال ما يتلقونه من معارف وما يكتسبونه من مهارات تصقل قدراتهم، يتم ذلك من خلال التدريب والتمرس بما يتناسب ونموهم الإدراكي وقدراتهم بصفة عامة.

إن الممارسة العملية منذ الطفولة لما يتلقاه الإنسان من معلومات -حتى القيم- هي التي تصقل مهاراته وقدراته، حتى وإن فشل في محاولة فسيتعلم من تجربته، إن حرص هذه الأم وخوفها على ابنها أفقده القدرة على أن يكون زوجاً ناهيك على أن يكون إنساناً يدير حياته، كذلك ذلك الأب الذي فهم التربية بأن يفكر لأولاده وعبّر عن حبه لهم بأن وفّر خبرته ورؤيته باختياره ما ينفعهم.

٢- نموذج الوالدين وأثره على تربية الأولاد:

إن تربية الوالدين لأولادهما ليست فقط من خلال توجهاتهما لهم، ولكن -وهو الأهم والأكثر تأثيراً على الأولاد- هو نموذج علاقة الوالدين معاً، وكذلك نموذج كل من الوالدين مع الأولاد.

إن سيطرة الأب وخنوع الأم، ولّد لديك رفضاً وجعلك تجنحين إلى التطرف وتبنيت دعوة النسوية، وقد يؤثر هذا النموذج سلبياً بطريقة أخرى حيث قد يرى غيرك أن هذه العلاقة «المرضية» بين الوالدين هي النموذج الطبيعي؛ فتحاكي البنت دور أمها خنوعاً، ويحاكي الابن دور والده سيطرة.

٣- مفهوم القوامة:

إن القوامة تعني قيام الزوج برعاية زوجته وأولاده ومشاورتهم فيما يخص الأسرة، ولكن يتحمل هو المسؤولية في الأخذ بأسباب حماية أسرته واتخاذ ما يراه مناسباً في ذلك، وقد سبق لنا مناقشة ذلك بالتفصيل في باب «المودة والرحمة قراري» بالموقع الإلكتروني لـ«المجتمع» تحت محور مفاهيم زوجية يمكن للقارئ الكريم الرجوع إليه.

٤- حكمة الخالق والشارع الحكيم:

يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء: ١)، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف: ١٨٩)؛ فمن أسباب

سئمت القيام بدور الزوج والزوجة والأم المسؤولة عن رضيع بالسابعة والعشرين من عمره!

السكينة بين الزوجين أن يتكامل دور كل منهما مع الآخر؛ لذا خص الله، جلَّت حكمته، كل زوج بخصائص تمكنه من القيام بدوره، ولم يقتصر هذا التخصيص على التكوين البدني فقط، بل امتد للتكوين النفسي؛ فالرجل مهيأ نفسياً للولاية على محارمه وإن كانت أمه أو جدته، بما يدفعه للجد والضرب في الأرض طلباً لرزق من يعول، ناهيك عن حمايتهم معنوياً وبدنياً.

إن البناء النفسي للرجل منذ طفولته يُهيئه ويجعله مستعداً لتحمل مسؤولياته، وتساعد التربية السوية على تنمية شخصيته كرجل، وكذا تنمية قدراته العقلية والبدنية بما يتوافق ودوره في الحياة، وكذا المرأة، أما إذا حدث خلل في التربية من منطلق الحب والخوف على الولد -كما حدث لأحمد- فإنه لا يفقد فقط المعارف والمهارات التي تمكنه لممارسة دوره كرجل ومن ثم تضعف قدراته، بل -وهو الأخطر- هو تشويش صورته الذهنية عن ذاته كرجل، وضعف ثقته في ذاته، وتقلص دوره إلى مجرد تابع ومنتظر من يلبي له أبسط متطلبات حياته.

أما الصورة الذهنية السلبية عن الدور العظيم للمرأة كزوجة الذي تقلص في الطاعة السلبية للزوج، وكذا الصورة السلبية لقوامة الزوج التي وصلت إلى حد الطغيان النفسي وقهر الزوجة، فولّد رد فعل عكسياً حول التصور الذهني عن الذات.

في المقابل، هي لا تستطيع مواجهة والدها أو تقوّي من شكيمة والدتها، فتمردت على شخصيتها الأنثوية، وتقمصت دون أن تدري دور الرجل وهو ضد طبيعتها وما وهبها الله تعالى من صفات نفسية وبدنية كأنثى، أيضاً كان لصديقات السوء وتبني الأفكار النسوية تبرير نفسي ومعين للثقافة الفاسدة؛ ما هيأ لها بيئة نفسية مريحة وانتقاماً مهذباً من شخصية والدها المسيطرة.

الحل

الفطرة السوية غالبة:

يقول المولى عز وجل: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه: ٥٠)، وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (الروم» ٣٠)، الحمد لله، لقد استطاعت فطرتك السوية أن تتغلب على تجربتك الأسرية السلبية وكذا الأفكار الهدامة للأسرة.

ماذا تفعلين؟

لقد ساهمت في مشكلتك بقيامك بدور الأم والزوجة فلم ينفطم زوجك عن أمه بزواجه منك، بل أكدت له ضمان نمط الحياة الاتكالية التي نشأ فيها؛ لذا عليك أن تتحملي تكلفة العلاج.

١- **التأهيل الديني والسلوكي:** إن إخلاص العمل لله تعالى أساس القبول والتوفيق، فعليك إخلاص النية لله سبحانه في إصلاح وترميم بيتك، ثم دعاء الله تعالى أن يوفقك لهذا، وكلاكما يحتاج إلى إعادة تأهيل ديني للتعرف على قبس من حكمة الشارع الحكيم في تنظيم الأسرة المسلمة، وتأهيل سلوكي للتدريب على صياغة العلاقة بينكما على مبادئ ديننا الحنيف، والتزود بالمعارف والمهارات الحياتية الحديثة.

٢- **إطلاع زوجك على حقيقة مشاعرك:** من المهم إطلاع زوجك على حقيقة مشاعرك، وإخباره أن هناك خطورة على حياتكما الزوجية إن لم يعدّل فكره وسلوكه، وأن عليه القيام بدوره المكلف به شرعاً كزوج.

الممارسة العملية منذ الطفولة لما يتلقاه الإنسان من معلومات هي التي تصقل مهاراته

الخلل في التربية من منطلق الخوف على الولد يُحدث تشويشاً لصورته الذهنية عن ذاته كرجل

٣- **خطة العلاج:**

أ- **التحفيز:** حتى يمكنك القيام بدور مؤثر لتنقذي زوجك من مرحلة الطفولة التي استمرأها، ومن ثم ترميم وإعادة هيكلة علاقتكما وإعادة بناء بيت سليم؛ يؤدي التحفيز دوراً مؤثراً في استنهاض طاقة الإنسان، خاصة أنه يحبك ولك تأثير عليه؛ لذا فأنت أعلم بمفاتيح استثارة همته وإطلاق طاقاته، ولا حرج أن يفهم أنه إن لم يستجب ويطور من نفسه ويتحمل مسؤولياته كزوج، فسيكون الانفصال هو الحل.

ب- **التزود بالمعارف الضرورية لقوامته لأسرته:** أولاً والأهم هو الفهم الصحيح للضوابط الشرعية لعلاقة الزوجين، ودور كل منهما في بناء بيت إسلامي على تقوى من الله، ومفهوم قوامة الرجل وكيفية أداء هذه الأمانة العظيمة.

ج- **التدريب التدريجي للقيام بمهامه كزوج:** رغم قيمة وأهمية التزود المعرفي في تصحيح الصورة الذهنية لزوجك، فإنه يحتاج إلى تدريب تدريجي لتطبيق هذه المعارف والقيام بمهامه كزوج، وأنت من جانبك عليك مساعدته لتحقيق رسالته.

د- **التشجيع:** إن دعمك النفسي مهم لاستمرار جهوده؛ فعليك تشجيعه مهما كان إنجازه ضعيفاً، حتى يكتسب ثقة بنفسه.

وفي النهاية، وبعد كل هذا، إن استجاب زوجك فلله الحمد، وإلا فعليك استشارة طبيب نفسي لأن كلاً منكما قد يحتاج إلى جلسات بناء على تشخيص حالته، كما أنصحك بتأجيل الحمل حالياً؛ لأن هناك احتمالاً ألا يستجيب زوجك ويفضل العودة لحضن أمه عن أن يكون زوجاً وأباً مسؤولاً. ■

بقية المنشور ص ٦٦

الإسلام ينتشر في زمن العلمنة والإرهاب (1 - 3)

وفي عهد الدولة العثمانية (١٢٩٩ - ١٩٢٤م)، أدت السياسة المتصفة بالسماحة الدينية التي اتخذتها الدولة -تجاه رعاياها في جنوب شرق أوروبا- إلى اعتناق الكثير للإسلام، وجعلت الإسلام ينتشر انتشاراً واسعاً بين تلك الشعوب، حيث وجدوا الرحمة والرأفة، والعدل والمساواة، التي لم تعهدها تلك الشعوب من قبل[٥].

وكذلك دخلت أعداد هائلة لدين الله دون قطرة دم أو برقة سيف في شبه الجزيرة الهندية وماليزيا وإندونيسيا، ولم تكن للمسلمين دولة في إندونيسيا خلال القرون التالية، وإنما كان الحكم للهولنديين المسيحيين، ومع ذلك استمر دخول الناس في الإسلام حتى صارت إندونيسيا أكبر دولة من حيث عدد سكانها المسلمين في العالم، كذلك كان الحال في أفريقيا؛ حيث انتشر الإسلام في القرنين الماضيين وأفريقيا تحت الاحتلال الأوروبي.

وفي إندونيسيا، أنشأ التجار المسلمون لأنفسهم مراكز تجارة على سواحل سومطرة وشبه جزيرة الملايو في وقت مبكر ربما من أواخر القرن الثاني الهجري، وقد أتى أوائل التجار من عُمان، وحضرموت، والساحل الجنوبي لليمن وكذا الهند، وأسلم الناس نتيجة احتكاكهم بالتجار المسلمين، وبدأ ازدهار الإسلام في القرن السادس الهجري، ودخل الناس هناك في دين الله بصفة تكاد تكون جماعية في وقت قصير دون أي حرب أو قهر، بدأ باعتناق الأفراد ثم أصحاب السلطة ثم عامة الشعب[٦]، وقفز الإسلام من جزيرة إلى أخرى بسلام واقتناع، فهل يستطيع المسلمون هنا في أوروبا تكرار تلك الظاهرة الإندونيسية؟

وبعد حوادث ١١ سبتمبر، زاد الاهتمام بالإسلام والمسلمين في بريطانيا، من المكتبات الإسلامية والدورات الجامعية في الأديان المقارنة إلى أروقة وزارة الخارجية، يسارع غير المسلمين لمعرفة المزيد عن الإسلام وحياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتجاوزت مبيعات القرآن الكريم أعلى مستوى، فسجل «Penguin»، ناشرو أفضل ترجمة لمعاني القرآن باللغة الإنجليزية، زيادة قدرها ١٥ ضعفاً في الأشهر الثلاثة التي أعقبت حوادث سبتمبر، واستمرت المبيعات مرتفعة منذ ذلك الحين.

في هذه الأثناء، كانت وزارة الخارجية البريطانية وشؤون الكومنولث غارقة في الاستجابة لدورات التوعية الإسلامية الجديدة التي أقاموها للدبلوماسيين الذين تم تعيينهم في البلدان الإسلامية والموظفين المقيمين في لندن المهتمين بالعالم الإسلامي الأوسع[٧].

تقول «إيوني سوليفان»، من إنجلترا، عن القرآن الكريم: «وجدت نفسي أقرأ كتاباً يقول: إن الدليل على وجود الله يكمن في الجمال اللامتناهي وتوازن الخلق، وليس كتاباً يطلب مني تصديق أن الله سار على الأرض في شكل بشري؛ لم أكن بحاجة إلى كاهن ليباركني أو مكان مقدس للصلاة، ثم بدأت أبحث في الممارسات الإسلامية الأخرى التي رفضتها قبل إسلامي باعتبارها قاسية؛ الصوم، الزكاة، فكرة الحياء، توقفت عن رؤيتها كقيود على الحرية الشخصية وأدركت أنها طرق لتحقيق ضبط النفس»[٨].

لعل شهر رمضان يكون فرصة ليرى أهل أوروبا من غير المسلمين مدى حلاوة الإيمان، ليسعوا إلى تذوقه؛ فها هي «أليسون» من إسكتلندا، كانت تقرأ في كتاب لطالب قضى فترة بحثية في جامبيا، وفيه فصل بعنوان «رمضان»، يحكي عن شهر الصيام هناك، فقررت أن تصوم، وعرفت أن رمضان قد قرب فقررت استعارة بعض الكتب عن الصيام ثم طلبت كتباً أخرى عن الإسلام من المكتبة العامة، وعكفت عليها في إجازة لمدة أسبوعين، وشعرت بالطمأنينة بعد أن وجدت الإجابات عن أسئلتها: كيف يكون لله ابن؟ ولماذا يجعله يموت؟

وتقول: «قبلتُ الإسلام على التوّ، وكان أحد الكتب عبارة عن دليل للصلاة، وبعد قراءته بدأتُ الصلاة، وأتمنى لو أشعر الآن بنفس الشعور الذي أحسستُ به عندما صليتُ لأول مرة، ذلك الشعور بصلة مباشرة مع الله، الشعور بالاستسلام، والوقوف أمام خالقي، لا أستطيع حتى أن أبدأ في شرح إحساسي الذي خبرتُه، والذي أدركتُ بعده أنه لن تكون هناك عودة إلى الوراء»[٩].

في الجزء التالي، سنستعرض، بإذن الله تعالى، حجم الدخول للإسلام في أوروبا، وأسبابه، والتحديات التي تواجه المهتدين.■

الهوامش

(٥) فائقة بحري، «أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا» (رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٩٨٩)، ص١٨٠.

(٦) العبودي، في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين (الرياض، ١٩٩٩)، ٢٧.

(7) M Bright, "Interest in Islam mounts after hijacking atrocity," The Observer, 1 September 2002.

(8) V Mistiaen, "Converting to Islam: British women on prayer, peace and prejudice," The Guardian, 11 October 2013.

(9) Y Suleiman. Narratives of Conversion to Islam in Britain: Female Perspectives. (Cambridge: Centre of Islamic Studies, University of Cambridge, with the New Muslims Project, Markfield, 2013).

الإسلام ينتشر في زمن العلمنة والإرهاب (1 - 3)

د. أحمد عيسى
دكتوراة في العقيدة وأصول الدين

«مرتد من المسيحية إلى الإسلام في زمن العلمنة والإرهاب»، هذا عنوان الكتاب الذي ألفه «فان كلافرن»، السياسي الهولندي الذي كان معادياً للإسلام، وكان عضواً في حزب «من أجل الحرية» المتطرف، وعضواً في البرلمان إلى عام ٢٠١٧م، في أثناء تأليفه كتاباً ضد الإسلام، وفي منتصف الطريق في الكتابة، هداه الله فأسلم، وغيّر كتابه إلى هذا العنوان المثير ذي الدلالة، يقول في كتابه: «مع الأخذ في الاعتبار أن إلهاً واحداً تحدث عنه موسى وعيسى من بين آخرين هو نفس الإله الذي قرأنا عنه في القرآن، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم، دون أدنى شك، ينتمي لسلالة الأنبياء في الكتاب المقدس، قررت نطق شهادة الإسلام، حدث هذا بعد عشاء رائع في مكان عائلي دافئ مع مجموعة صغيرة، بعد نطق الشهادة، لم تمطر السماء ذهباً ولم أر النجوم أكثر تألقاً، ولكني شعرت بالبهجة والراحة النفسية»[١].

بلّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده الدين، ثم الصحابة الأوائل، ثم رويداً رويداً دخل القلوب والبيوت، ولم يمض رسول الله إلى الرفيق الأعلى حتى جاء نصر الله والفتح، ودخلت جزيرة العرب كلها في دين الله، وكان ذلك بأقل خسائر يتصورها إنسان، «ولم يشهد التاريخ أيمن، ولا أقل إراقة للدماء ولا أعود منها على الإنسانية بالسعادة من ذلك الفتح؛ لم يزد عدد القتلى من الفريقين في جميع الغزوات والسرايا والمناوشات على ١٠١٨ نفساً؛ ٢٥٩ مسلماً و٧٥٩ كافراً»[٢].

وفي القرنين السابع والثامن الميلاديين، دخل الإسلام الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وتابع الخلفاء الراشدون ومن بعدهم بنو أمية ثم بنو العباس المسيرة المباركة، ولم تمض ١٠٠ عام من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى امتد نور الإسلام ليكون دولة عظيمة امتدت من الهند شرقاً إلى إسبانيا غرباً، حيث بدأ فتح الأندلس عام ٩٢هـ.

وتميز القادة المسلمون وأتباعهم الذين حملوا على أكتافهم مهمة نشر الدين بأنهم أصحاب كتاب منزل وشريعة إلهية، وبأنهم لم يتولوا الحكم بغير تربية خلقية وتزكية نفس، ولم يكونوا خدَمة جنس ورسل شعب أو وطن، وإنما للبشرية كلها، وكانوا جسماً وروحاً وقلباً وعقلاً وعواطف وجوارح تسعد بهم البشرية، وتتمثل فيهم الإنسانية بجميع جوانبها فصارت دور الخلافة الراشدة مثلاً للمدينة الصالحة، وسعدت البشرية في ظل الفتوحات الإسلامية[٣].

وعندما فتح المسلمون البلاد سادوها، ولكن تركوا الناس أحراراً في اختيار دينهم؛ لأن الإسلام حرم إدخال الناس فيه بالقوة أو إكراههم، فلا إكراه في الدين، فأخذ ذلك أجيالاً حتى اقتنع سكان البلاد بهذا الدين بعد علمهم به وتجربتهم مع أتباعه.

ولم يتوقف انتشار الإسلام على معجزة الرعيل الأول، لكنه استمر خلال القرون التالية، ففتح محمد الفاتح القسطنطينية عام ٨٥٧هـ، وبدأ الأتراك بفتح الأناضول والبلقان خاصة في عهد السلطان مراد الأول، فدخل الإسلام إلى أوروبا من الشرق، ودخل سليمان القانوني المجر (٩٣٢هـ)، وبلغت جيوشه أسوار فيينا وحاصرها أول مرة (٩٣٥هـ)[٤].

الهوامش

(1) Joram van Klaveren, Apostate: From Christianity to Islam in times of secularisation and terror (The Netherlands: Kennishuys، ٢٠١٩)، ١٨٧-١٨٨.

(٢) المنصورفوري، رحمة للعالمين (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ١٩٩٥)، ص٤٦٨.

(٣) الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ (المنصورة: مكتبة الإيمان)، ص١٦٠.

(٤) الصلابي، فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٦)، ص٨٣-١١٣.

البقية ص ٦٥

2005
جمعية التكافل
لرعاية السجناء
الأقربون أولى بالمعروف
الأمانة العامة للأوقاف
Kuwait Awqaf Public Foundation
الأقربون أولى بالمعروف
1000
حالة
من الغارمين
24834414
94064061
www.altkaful.com
@Takaful.Association
@altakaful
ISO 9001:2015

نمـــاء الخيريـــة
NAMAA CHARITY
جمعية الإصلاح الاجتماعي

إفطار الصائم

أجرك أجران

دينار

وجبة إفطار صائم

1888833

نهتـــم بالإنســـان

رقم الترخيص (ج/ر د/ 1 / 2023/4/20 - 2023 م) لمنع الجمع النقدي